
وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ
لأبي حمزة الأنصاري
بيت المقدس
التحايا



1441 هـ 2019 م

Baytalmaqdiss44@gmail.com

بيت المقدس

وأن تصوموا خيرٌ لكم

كتبه العبد الفقير إلى عفو ربه

أبو حمزة الأنصاري [1]

في استقبال غرة رمضان سنة 1437 هـ



بيت المقدس

[1] هو الرجل الثاني في تنظيم "المرابطون" المبايع لقاعدة الجهاد (الناشر).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا البحث يتكون من ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول: فقه الصيام

تعريفُ الصيام:

فِي اللُّغَةِ: الصِّيَامُ هو الْإِمْسَاكُ.

وَفِي الشَّرْعِ: إمْسَاكٌ عن المفطراتِ على وجهٍ مخصوصٍ[2].

الحُكمُ الشرعي: فريضةٌ بالكتابِ والسُنَّة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة 183).

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "بُني الإسلامُ على خمسٍ: شهادةِ أن لاإله إلا الله وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله ، وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة والحجِ وصومِ رمضان"، (متفقٌ عليه).

تاريخُ الفريضة: فِي السُنَّة الثَّانِيَةِ مِنْ الْهِجْرَةِ .

فضلُ الصيامِ:عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِ ﷺ أنه قال: من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفر له ماتقدم من ذنبه، ومن قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِر له ماتقدمَ من ذنبه (رواه البخاري).

ركنُ الصوم:

الركن في اللغة: ما لا يقومُ الشيءُ إلا به ـ أَحدُ جوانب الشَّيء الذي يستند إليه ـ جزء من أجزاءِ حقيقة الشَّيء.

تعريفه: هو الإمساكُ عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروبِ الشمس.

قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (البقرة 187)[3].

المرادُ من تبين الخيطين هو بياضُ النهار وظلمةُ الليل لاحقيقةِ الخيطين.

وقد أباحَ الله تعالى هذه الجملةُ من المفطرات لليالي الصوم ثم أمرَ بالإمساكِ عنهن في النهار ، فدلَّ على أنَّ حقيقةَ الصومِ هو ذلك الإمساك.[4]

---

[2](مُغني المحتاج : 420/1)

[3](مراقي الفلاح ص 349)

واعُتبر الجماعُ من المفطراتِ للحديثِ الواردِ فيه (كما سيأتي).

حِكمةُ الصومِ :

1. هو وسيلةٌ لشكرِ النعمِ: الامتناع عن النعمِ (طعام / شراب / جماع) فترة معينة يجعلك تعرِفُ قدرَها ، ومن ثمَّ تشكرُ ربكَ عليها (ولعلكم تشكرون).
2. هو وسيلةٌ للتقوى : الامتناعُ عن الحلالِ فترة معينة طمعاً في مرضاةِ الله تعالى ، يؤدي إلى الامتناعِ عن الحرامِ خوفاً من عذابه (لعلكم تتقون).
3. هو ذريعةٌ للامتناعِ عن المعاصي : إذ فيه كسرُ الشهوةِ ، وهي الدافعُ للمعاصي .

عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشرَ الشبابَ من استطاعَ منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُ للبصر وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصومِ فإنَّه له وِجاء" (متفق عليه).

وِجاء: أي وقاية .

4. هو مُوجبٌ للرحمةِ والعطفِ على الفقراءِ : بالإحساسِ بالجوعِ والعطشِ مثلهم .
5. هو قهرٌ للشيطانِ: إذ أن وسيلتَه هي الشهوات التى تُقوى بالطعامِ والشرابِ.

أنواعُ الصيام:

أولاً: ماله وقتٌ معين:

1. بتعيين الله تعالى، كصومِ رمضان أو صومِ التطوعِ خارجِ رمضان.
2. بتعيين العبد، كصومِ النذرِ في وقتً بعينه.

ثانياً: ما ليس له وقت معين:

كصومِ قضاءِ رمضان والكفاراتِ ومُتعةِ الحج وفِديةِ الحلق وجزاءِ الصيد والنذرِ المطلق عن الوقت[5].

شروطُ وجوبِ الصومِ :

تعريفُ الشرط: هو مايلزمُ من عدمِه العدم.

---

[4](تحفة الفقهاء: 537/1)

[5](بدائع الصنائع : 75/2)

والشروط هي: الإسلامُ والعقلُ والبلوغُ والعلمُ بالوجوب. الإسلام شرطٌ عامٌ للخطاب بفروعِ الشريعة ـ ولافائدةَ من توجيهِ الخطابِ بدون العقلِ ـ ولا تكليفَ إلا بالبلوغ لأنَّ الغرض هو الامتثالُ، وذلك يكون بالإدراكِ والقدرةِ على الفعل ـ وفي دارِ الحربِ يكونُ العلم بالوجوب بخبرِ رجلينِ عدلينِ، وفي دارِ الإسلامِ يحصلُ العلمُ بمجرد نشأتِه في تلك الدار[6].

من وجبَ عليه الصيامُ بعد أنْ لم يكن واجباً:

- عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبِيعَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَفْدُنَا الَّذِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِ ثَقِيفٍ، قَالَ: وَقَدِمُوا عَلَيْهِ فِي رَمَضَانَ، وَضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا صَامُوا مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ الشَّهْرِ (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ) .
- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَسْلَمَةُ عَنْ عَمِّهِ : أَنَّ أَسْلَمَ أَتَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: صُمْتُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا؟ قَالُوا : لَا، قَالَ: فَأَتِمُّوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ وَاقْضُوا(رَوَاهُ أَبُو دَاوُد).

الخلاصةُ: هذا يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الصِّيَامِ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ فِي رَمَضَانَ. ويَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ فِي نَهَارِ رَمَضَانَ (وَيَلْحَقُ بِهِ مَنْ تَكَلَّفَ أَوْ أَفَاقَ مِنْ الْجُنُونِ أَوْ زَالَ عَنْهُ عُذْرُهُ الْمَانِعُ مِنْ الصَّوْمِ) وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ لِذَلِكَ الْيَوْمِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُخَاطَبًا بِالصَّوْمِ فِي أَوَّلِهِ.

صيامُ الصبي:

عن النبي ﷺ: رُفِعَ القلمُ عن ثلاثةٍ: "عن المجنونِ المغلوبِ على عقلِه حتى يبرأ، وعن النائمِ حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم"، (رواه الإمام أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع).

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: "إِذَا أَطَاقَ الْغُلَامُ صِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَجَبَ عَلَيْهِ صِيَامُ الشَّهْرِ كُلِّهِ"، (ذَكَرَهُ السُّيُوطِيّ فِي الْجَامِعِ الصَّغِيرِ).

ويوجدُ رأيان في المسألة:

[6] (الاقناع للشربيني 325/2)

الرأيُ الأول: لَا يَجِبُ الصَّوْمُ عَلَى مَنْ دُونَ الْبُلُوغِ : بناءً على سِنِّ التكليف ، ولابأسَ من التعويدِ والتمرينِ، وهو الراجحُ، والله أعلم .

الرأيُ الثاني: يجبُ صيامُ الصبي إذا أطاقَ صيامَ ثلاثة أيام، وهو ضعيف.

شروطُ صحةِ الصوم:

1. خلو المرأة من الحيضِ والنفاسِ .

عن عائشة ﵂ لما سألتها مُعاذة: "ما بال الحائضُ تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة ... قالت: كان يُصيبنا ذلك، فنؤمرُ بقضاءِ الصومِ ولا نؤمرُ بقضاءِ الصلاةِ"، (رواه البخاري).

والأمرُ بالقضاءِ فرعُ الوجوبِ مع عدم الآداء لعذرٍ[7].

2. خلوه عن مُفسدات الصوم (كما سيأتي) .

3. النية، فكلُ العبادات لاتجوزُ إلا بالنية لقولِه ﷺ: "إنَّما الأعمالُ بالنيات ..."، الحديث (متفق عليه)، فقد يكونُ الإمساكُ عن المفطراتِ لعادةٍ أو مرضٍ. والنيةُ محلُها القلب، ولا يُشترط النطقُ بها كما هو معلوم[8].

هل تجبُ النيةُ من الليلِ (التبييت):

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﵄ عَنْ حَفْصَةَ﵂ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَجْمَعْ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ (رَوَاهُ الْخَمْسَةُ). يجمع : أي يعزِم بالنية.

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: "هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقُلْنَا: لَا ، فَقَالَ: فَإِنِّي إِذَنْ صَائِمٌ، ثُمَّ أَتَانَا يَوْماً آخَرَ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أُهْدِيَ لَنَا حَيْسٌ، فَقَالَ: أَرِينِيهِ فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِماً فَأَكَلَ". (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ) .

وهناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: وجوبُ النيةِ قبلَ الفجرِ مُطلقاً في أي صيام، وهو ضعيف.

الرأي الثاني: وجوب النية في الفرضِ دون النفلِ، وهو الراجح، والله أعلم .

---

[7](القوانين الفقهية ص 77)

[8](مراقي الفلاح ص348)

مُفسداتُ الصوم:

انتفاءُ أيُ شرطٍ من شروطِه (شروطُ وجوبٍ أو صحةٍ) أو اختلالُ أحدِ أركانِه: كالردةِ أو طروءِ الحيضِ والنفاسِ أو طروءِ مايُنافي الصيامَ من أكلٍ أو شربٍ أو جِماعٍ.

الشهادةُ فِي دُخُولِ رَمَضَانَ وفي نهايتِه:

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: تَرَاءَى النَّاسُ الْهِلَالَ (أي خرجوا لرؤيته) فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ" (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد).

وهناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: تُقْبَلُ شَهَادَةُ الْوَاحِدِ (وهو الراجح) .

الرأي الثاني: إنَّهُ لَا يَقْبَلُ الْوَاحِدُ بَلْ يُعْتَبَرُ اثْنَانِ.

يومُ الغيمِ والشكِ:

عن ابنِ عباس ﷺ قال: قال ﷺ: "لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ "، (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ).

الخلاصة: في حالةِ الغيمِ: إكمالُ العِدةِ ثلاثين يوماً

هل الرؤيةُ في بلدٍ تُلزِم سائرَ البلادِ الإسلامية أم لا ؟:

عن ابن عباس ﷺ قال: قال ﷺ:" لَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ"، (أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ).

عَنْ كُرَيْبٌ ﷺ أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ ﷺ بَعَثَتْهُ إلَى مُعَاوِيَةَ بِالشَّامِ ... فَقَالَ: اسْتُهِلَّ عَلَيَّ رَمَضَانُ وَأَنَا بِالشَّامِ فَرَأَيْتُ الْهِلَالَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ثُمَّ قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ فَسَأَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ: مَتَى رَأَيْتُمْ الْهِلَالَ ؟ فَقُلْتُ: رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ... فَقَالَ: لَكِنَّا رَأَيْنَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ فَلَا نَزَالُ نَصُومُ حَتَّى نُكْمِلَ ثَلَاثِينَ أَوْ نَرَاهُ، فَقُلْتُ: أَلَا تَكْتَفِي بِرُؤْيَةِ مُعَاوِيَةَ وَصِيَامِهِ ؟ فَقَالَ: لَا، هَكَذَا أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم. (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إلَّا الْبُخَارِيَّ وَابْنَ مَاجَهْ) .

وهناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: لُزُومُ رُؤْيَةِ أَهْلِ بَلَدٍ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ إلا بقيدٍ عقلي، وهو أَنْ يَكُونَ بَيْنَ الْقُطْرَيْنِ مِنْ الْبُعْدِ مَا يَجُوزُ مَعَهُ اخْتِلَافُ الْمَطَالِعِ (لايتفقان في جزءٍ من الليل: في أحدهما ليلٌ وفي الآخرِ نهارٌ)، لأنَّه يستحيلُ خلافُ ذلك. وقولُ النبي ﷺ في الحديث السابق هو خِطَابٌ لِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، فإِذَا رَآهُ أَهْلُ بَلَدٍ فَقَدْ رَآهُ الْمُسْلِمُونَ فَيَلْزَمُ غَيْرَهُمْ مَا لَزِمَهُمْ، وهذا هو الراجح، واللهُ أعلم . وأيضاً فهذا الرأيُ يُدعِّمُ الوحدةَ بين المسلمين، وهي أهمُ عنصرٍ من عناصرِ قوتِهم.

الرأيُ الثاني: لَا يَلْزَمُ أَهْلَ بَلَدٍ رُؤْيَةُ أَهْلِ بَلَدٍ غَيْرِهَا. وهذا ضعيف ، لأنَّه يعتمد على اجتهاد ابن عباس رضي الله عنه، والحديثُ المرفوع من روايتِه أولى. وأيضاً هذا يؤدي إلى صيامِ كلِّ محِلةٍ، مهما صغُرت، بمفردِها بناءً على رؤيتِها الخاصة.

الحِجامة :

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ). قال البغوي في شرح السُنَّة: أفطر أَيْ تَعَرَّضَا لِلْإِفْطَارِ، أَمَّا الْحَاجِمُ فَلِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ وُصُولُ شَيْءٍ مِنْ الدَّمِ إلَى جَوْفِهِ عِنْدَ الْمَصِّ، وَأَمَّا الْمَحْجُومُ فَلِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ مِنْ ضَعْفِ قُوَّتِهِ بِخُرُوجِ الدَّمِ، فَيَئُولُ أَمْرُهُ إلَى أَنْ يُفْطِرَ"، أهـ.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ مُحْرِمٌ وَاحْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبُخَارِيُّ) .

وَعَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَكُنْتُمْ تَكْرَهُونَ الْحِجَامَةَ لِلصَّائِمِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا إلَّا مِنْ أَجْلِ الضَّعْفِ (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ).

وهناك رأيان في المسألة :

الرأي الأول: الحجامةُ تفطِرُ الْحَاجِمِ وَالْمَحْجُومِ لَهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمَا الْقَضَاءُ، وهو ضعيف.

الرأي الثاني: الْحِجَامَةُ لَا تُفْسِدُ الصَّوْمَ، ولكنها مَكْرُوهَةٌ فِي حَقِّ مَنْ كَانَ يَضْعُفُ بِهَا وَتَزْدَادُ الْكَرَاهَةُ إذَا كَانَ الضَّعْفُ يَبْلُغُ إلَى حَدٍّ يَكُونُ سَبَباً لِلْإِفْطَارِ، وَلَا تُكْرَهُ فِي حَقِّ مَنْ كَانَ لَا يَضْعَفُ بِهَا، وتَجَنُّبُ الْحِجَامَةِ لِلصَّائِمِ أَوْلَى، وهو الراجح، والله أعلم.

القيء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنْ ذَرَعَهُ الْقَيْءُ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ، وَمَنْ اسْتَقَاءَ عَمْدًا فَلْيَقْضِ (رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ).

ذرعه: أي غلبه.

استقاءَ: تعمدَ القيء.

الرأيُ الأول: لَا يَبْطُلُ صَوْمُ مَنْ غَلَبَهُ الْقَيْءُ وَلَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ ، وَيَبْطُلُ صَوْمُ مَنْ تَعَمَّدَ إِخْرَاجَهُ وَلَمْ يَغْلِبْهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وهو الراجحُ، والله أعلم.

الرأيُ الثاني: القيءُ لا يُفسدُ الصومَ مُطلقاً، وهو ضعيف.

الاكتحال:

عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَيْنَاهُ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ الْإِثْمِدِ وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ وَهُوَ صَائِمٌ (رَوَاهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ).

الإثمد: هو حجرُ الكحلِ المعروف.

وهناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: الكحلُ لا يُفسدُ الصومَ، لِأَنَّ الْبَرَاءَةَ الْأَصْلِيَّةَ لَا يُنْتَقِلُ عَنْهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ، فضلاً عن الحديث السابق، وهو الراجحُ، واللهُ أعلم .

الرأي الثاني: الكحلُ يُفسدُ الصومَ، واستدلوا بأحاديثٍ ضعيفة.

السِواك:

قال ابن قدامة: لم يرْ أهلُ العلمِ بالسواكِ أول النهارِ بأساً، إذا كان العودُ يابساً[9]. والخوفُ الأساسي من تحللِ شيءٍ منه أو وجودِ سائلٍ فيه ووصولِه إلى الحلق.

النسيان:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا اللَّهُ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ) .

(فَإِنَّمَا اللَّهُ أَطْعَمَهُ وَسَقَاهُ) كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ الْإِثْمِ ؛ لِأَنَّ الْفِعْلَ إِذَا كَانَ مِنْ اللَّهِ تعالى كَانَ الْإِثْمُ مُنْتَفِياً.

---

[9] (المغني 3 / 46)

وهناك رأيان في المسألة :

الرأيُ الأولُ: مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا فَلَا يبطلُ صَوْمُهُ وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ ،وهو الراجح، والله أعلم.

الرأيُ الثاني: مَنْ أَكَلَ نَاسِياً فَقَدْ بَطَلَ صَوْمُهُ وَلَزِمَهُ الْقَضَاءُ، وهو ضعيف.

المضمضة:

عَنْ عُمَرَ ﵁ قَالَ : هَشَشْتُ يَوْمًا فَقَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ صَنَعْتُ الْيَوْمَ أَمْرًا عَظِيماً، قَبَّلْتُ وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ بِمَاءٍ وَأَنْتَ صَائِمٌ ؟ قُلْتُ: لَا بَأْسَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: فَفِيمَ ؟ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد) .

(هَشَشْتُ) أَيْ نَشِطَتْ وَارْتَحْتُ .

(أَرَأَيْتَ لَوْ تَمَضْمَضْتَ) هذا يُبيّن أَنَّ الْمَضْمَضَةَ لَا تنْقضُ الصَّوْمَ وَهِيَ أَوَّلُ الشُّرْبِ ، فَكَذَلِكَ الْقُبْلَةُ لَا تنْقضهُ وَهِيَ مِنْ دَوَاعِي الْجِمَاعِ .

والخلاصةُ : جوازُ المضمضة ، ويُكْرَهُ لِلصَّائِمِ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَضْمَضَةِ وَالِاسْتِنْشَاقِ لِحَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْمُبَالَغَةِ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ صَائِماً .

الاغتسالُ من الحرّ :

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ الْحَرِّ وَهُوَ صَائِمٌ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد) .

(رجلٌ من أصحاب النبي): جهالةُ واحدٍ من الصحابةِ لا تضرُ في صحةِ الحديثِ.

والخلاصةُ: جوازُ الاغتسالِ من الحرّ .

مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا وَهُوَ صَائِمٌ :

الجنابة: في اللغة هي البُعد. وفي الاصطلاح: حالةٌ تُطلق على من أنزلَ المني ومن جامع ، سواء رجلاً أم امرأةً .

عَنْ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ جِمَاعٍ غَيْرِ احْتِلَامٍ ثُمَّ يَصُومُ فِي رَمَضَانَ. (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

وهناك رأيان في المسألة:

الرأيُ الأول: من أَصْبَحَ جُنُبًا فَصَوْمُهُ صَحِيحٌ وَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ أَنْ تَكُونَ الْجَنَابَةُ عَنْ جِمَاعٍ أَوْ غَيْرِهِ ، وهو الراجح ، واللهُ أعلم .

الرأيُ الثاني: مَنْ أَصْبَحَ جُنُبًا فَلَا صَوْمَ لَهُ، وهو ضعيف.

التقبيلُ والمباشرةُ من الصائم:

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُقَبِّلُ وَهُوَ صَائِمٌ وَيُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ. (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ) .

الْمُبَاشَرَةَ فِي الْأَصْلِ الْتِقَاءُ الْبَشَرَتَيْنِ (الرجل والمرأة) .

لِإِرْبِهِ : أَيْ لِحَاجَتِهِ أي لشهوته. الإِرْبُ والأَرَبُ: الحاجة.

وهناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: التقبيلُ والمباشرة لايُفسدُان الصوم، والأفضلُ عدمُ التَّقْبِيلِ والمباشرة لِمَنْ خَشِيَ أَنْ تَغْلِبَهُ الشَّهْوَةُ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ التَّقْبِيلِ، وهو الراجحُ، والله أعلم.

الرأي الثاني: تَحْرِيمُ التَّقْبِيلِ وَالْمُبَاشَرَةِ مُطْلَقًا لقَوْلِهِ تعَالَى { فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ }. قَالُوا: فَمَنَعَ مِنْ الْمُبَاشَرَةِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَهاراً. وَأُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الْمُبِيِّنُ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ أَبَاحَ الْمُبَاشَرَةَ نَهَارًا فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْمُبَاشَرَةِ فِي الْآيَةِ: الْجِمَاعُ لَا مَا دُونَهُ مِنْ قُبْلَةٍ وَنَحْوِهَا.

الإنزالُ من الصَّائِمِ :

سنتكلمُ أولاً عن بعضِ المصطلحات الشرعية:

المنِيُّ: في اللغة: هو ماء الرجل والمرأة. واصطلاحاً: هو ماءٌ غليظٌ دافقٌ يخرجُ عند شدة الشهوة، ويعقبه فتور ـ وهو يوجبُ الغسل.

المذِيُّ: ماء رقيق يخرج عند الشهوة البسيطة (الملاعبة أو التذكر)، ولايعقبُه فتور (لغة واصطلاحاً). وفيه غَسلُ الذكرِ والوضوءِ، ولايوجبُ الغُسل .

الوَدْيُ: ماءٌ ثخينٌ أبيض يخرجُ في أثرِ البولِ لا عن شهوة (لغة واصطلاحاً).

الحالة الأولى: تعمدُ إنزالِ المني بلا جماع كالاستمناءِ والتقبيلِ والمباشرةِ.

هُناك رأيان في المسألة:

الرأيُ الأول: الإنزالُ المتعمد يُفطرُ ويوجبُ القضاء على أساسِ أَنَّ الْإِنْزَالَ أَقْصَى مَا يُطْلَبُ فِي الْجِمَاعِ مِنْ اللذة.

الرأيُ الثاني: الإنزالُ المتعمدُ لايُفطرُ ولايوجبُ القضاء ، على أساس أنَّ الْأَحْكَامَ عُلِّقَتْ بِالْجِمَاعِ فَقَطْ، فاللهُ أعلمُ بالصواب.

الحالةُ الثانية: الإنزالُ بغير تعمد (كالنظرِ أو التفكرِ) : لا يُفسِدُ الصومَ لعدمِ الدليلِ على ذلك، والله أعلم .

الحالةُ الثالثةُ : اخراجُ المِذْي : وهو لا يُفسد الصوم لعدمِ الدليلِ على ذلك، والله أعلم .

الجماعُ في نهارِ رمضان :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُل إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ : "وَمَا أَهْلَكَكَ؟" قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُعْتِقُ رَقَبَةً ؟"، قَالَ: لَا، قَالَ:" فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ؟"، قَالَ: لَا، قَالَ: "هَلْ تَجِدُ مَا تُطْعِمُ سِتّينَ مِسْكِينًا ؟"، قَالَ: لَا، قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ ، فَأَتَى النَّبِيُّ ﷺ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، قَالَ: "تَصدَّقَ بِهَذَا "، قَالَ : فَهَلْ عَلَى أَفْقَرَ مِنَّا ؟ فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتٍ أَحْوَجَ إِلَيْهِ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: "اذْهَبْ فَأَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"، (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ) ، وفِي رِوَايَةٍ : (وَصُمْ يَوْمًا مَكَانَهُ).

(هَلَكْتُ) : فعلتُ معصيةً تؤدي إلى الهلاك .

(وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي) أي جامعتُها .

(العِتْقُ) : خِلافُ الرِّقِّ. أعتقه: أي جعله حُراً .

(بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ) العَرَقُ يُسمى الزِّنْبِيلُ أو الْمِكْتَلُ ، ويَسَعُ خَمْسَةَ عَشَرَ صَاعًا .

والصاعُ الواحد أربعة أمداد، والمدُ مايعادلُ كفي رجلٍ معتدلٍ .

(فَمَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا) تَثْنِيَةُ لَابَةٍ : وَهِيَ الْحَرَّةُ ، وَالْحَرَّةُ الْأَرْضُ الَّتِي فِيهَا حِجَارَةٌ سُودٌ ، وَالضَّمِيرُ عَائِدٌ إِلَى الْمَدِينَةِ : أَيْ مَا بَيْنَ حَرَّتَيْ الْمَدِينَةِ .

والخلاصة: الجماعُ في نهارِ رمضان يوجبُ القضاء والكفارة (عِتقُ رقبة أو صيامُ شهرين متتابعين أو اطعامُ ستين مسكيناً).

(الرَّقَبَة): قد تكونُ أي رقبة، وقد تكونُ رقبةً مؤمنةً، بحمل الْمُطْلَقُ عَلَى الْمُقَيَّدِ فِي كَفَّارَةِ الْقَتْلِ.

(الْكَفَّارَة): قد تكونُ عَلَى التَّرْتِيبِ، وقد لاتكونُ على الترتيب ـ وقد تَجِبُ عَلَى الرَّجُلِ فَقَطْ، وقد تَجِبُ عَلَى الرجلُ والْمَرْأَةِ ـ وقد تسقطُ بِالْإِعْسَار(على أساس أنَّ الكفارة لَا تُصْرَفُ فِي النَّفْسِ وَالْعِيَالِ)، وقد لَا تَسْقُطُ .

سننُ الصومِ ومستحباته

1. السحور :

وَعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً" (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا أَبَا دَاوُد) .

الْبَرَكَةِ: المراد هو الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ أَوْ كَوْنُهُ يُقْوَى عَلَى الصَّوْمِ وَيُخَفِّفُ الْمَشَقَّةَ فِيهِ .

والمطلوبُ : إصابة السُنةِ ، ولو بجرعةِ ماء .

2. تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: "لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا أَخَّرُوا السُّحُورَ وَعَجَّلُوا الْفِطْرَ"، (رَوَاهُ أَحْمَدُ) .

وَهو فضلاً عن كونه سُنَّة، فهو أرفقُ بالصائم ، وفِيه أيضاً مخالفةٌ لِلْيَهُودِ فَإِنَّهُمْ كانوا لَا يَتَسَحَّرُونَ، ويُفْطِرُونَ عِنْدَ ظُهُورِ النُّجُومِ.

3. الْإِفْطَارِ بالرُّطَبِ فإِنْ لم يكن فبِالتَّمْرِ، فإنْ لم يكن فَبِالْمَاءِ.

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُفْطِرُ عَلَى رُطَبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبًا فَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَمْرًا حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ) .

(حَسَا حَسَوَاتٍ) أَيْ شَرِبَ شَرَبَاتٍ ، وَالْحَسْوَةُ : الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ.

4. الدعاءُ عند الإفطار:

عَنْ ابن عمر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: "اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ، ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتْ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ". (رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالنَّسَائِيُّ وَالْحَاكِمُ وَالدَّارَقُطْنِيّ، وحسَّنَه) والدعاءُ يكونُ بالمأثور أو بما تُريد.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَرْفُوعًا: "إِنَّ لِلصَّائِمِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ "، (رواه ابن ماجة) .

5. خصائصُ شهرِ رمضان كالتراويحِ والاعتكافِ والإكثارِ من الصدقات .

ما يجبُ أن يشتغلَ به الصائم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : "قال الله تعالى: كلُ عملِ ابنِ آدمِ له إلا الصوم فإنَّه لي وانا أجزي به ..."، الحديث (رواه البخاري) .

وينبغي على العبدِ الاشتغال بالعبادةِ والذكرِ وتلاوةِ القرآن لينالَ هذا الأجرَ العظيم .

ما ينبغي أنْ يترفعَ عنه الصائم:

ينبغي للصائم أنْ يترفعَ عن كلِّ المعاصي الظاهرةِ والباطنةِ كالغيبةِ والنميمةِ والكذبِ، وهذه نماذجٌ منها:

1. قولُ الزورِ والعملُ به

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا مُسْلِمًا وَالنَّسَائِيُّ) .

(قول الزُّورِ) الْمُرَادُ بِالزُّورِ: الْكَذِبُ والباطل.

(فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ) لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يُؤْمَرُ بِأَنْ يَدَعَ صِيَامَهُ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ التَّحْذِيرُ مِنْ قَوْلِ الزُّورِ.

2. الرفثُ والصخبُ والشتمُ والمقاتلة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ ؛ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ"، (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) .

(فَلَا يَرْفُثُ) التكلمُ بالْكَلَامِ الْفَاحِشِ .

(وَلَا يَصْخَبْ) الصَّخَبُ : الصياحُ وشدةُ الصوتِ واختلاطُه .

ولَا يُفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ غَيْرَ يَوْمِ الصَّوْمِ يُبَاحُ فِيهِ مَا ذُكِرَ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ الْمَنْعَ مِنْ ذَلِكَ يَتَأَكَّدُ بِالصَّوْمِ .

(فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ) : أي إن تعرض للشتم أو القتال من غيره .

(إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ) قد يُخَاطِبُ بِهَا الَّذِي يَشْتُمُهُ وَيُقَاتِلُهُ أَوْ قد يَقُولُهَا فِي نَفْسِهِ .

(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ) هَذَا الْقَسَمُ لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ .

(لَخُلُوفُ) الْخُلُوفُ : تَغَيُّرُ رَائِحَةِ الْفَمِّ من عدمِ الطعامِ والشرابِ لفترةٍ مُعينةٍ .

(أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ) أي أَنَّهُ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ عِنْدَكُمْ أو أَنَّ اللَّهَ يُجَازِيهِ فِي الْآخِرَةِ فَتَكُونُ نَكْهَتُهُ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ .

(لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ) المرادُ بالفرحِ لفطره لِزَوَالِ جُوعِهِ وَعَطَشِهِ حَيْثُ أُبِيحَ لَهُ الْفِطْرُ وَهَذَا الْفَرَحُ طَبِيعِيٌّ ، وقد يكونُ لتَمَامِ صَوْمِهِ وَخَاتِمَةُ عِبَادَتِهِ . وَالْمُرَادُ بِالْفَرَحِ إِذَا لَقِيَ رَبَّهُ أَنَّهُ يَفْرَحُ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ مِنْ الْجَزَاءِ وَالثَّوَابِ .

الأعذارُ المبيحةُ للفطر: يُباحُ الإفطارُ للحالاتِ الآتية :

المريضُ والمسافرُ/ والحاملُ والمرضِعُ / والشيخُ الهرِمِ والمريضُ الذي لايُرجى بُرؤه / والمرهقُ من الجوع والعطش / والمكره / والمجاهدُ في سبيل الله .

المَرَضُ والسفرُ : قال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ (البقرة : 183).

المرضُ نقيضُ الصحة .

السفرُ معروف. وأدلة السفر مُطلقة عن تحديدِ المسافة، ولايوجدُ دليلٌ صحيحٌ يُحدد ذلك، وبعضُ العلماء حدد ذلك بـ 80 كيلو متر. والرأيُ أنَّ الحكمَ في ذلك يصير إلى العُرف، وعند الاختلاف أو الشك يصيرُ المرءُ إلى الأحوطِ، وهو كونهُ مقيمٌ ، إذ الأصلُ أنَّه مقيم ، فيستصحبُ الحالةَ الأصليةَ حتى يثبتُ العكسُ (راجع المختصر في أحكام السفر ـ فهد العماري) .

المريض: الذي يخافُ زيادةَ مرضِه بالصومِ أو إبطاءَ البُرءِ أو فسادَ عضوٍ، فيجوزُ له أنْ يُفطِر بل يُسن ، لأنَّ الصومَ قد يُفضي به إلى الهلاك .

المسافر : وله عدة أحوال:

الحالة الأولى : ماهو الأفضلُ للمسافر : الصيامُ أم الفطر ؟

عَنْ حَمْزَةَ بْنِ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجِدُ مِنِّي قُوَّةً عَلَى الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ ؟ فَقَالَ: "هِيَ رُخْصَةٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ" (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ) .

وَعَنْ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: "مَا هَذَا؟"، قَالُوا: صَائِمٌ . فَقَالَ: "لَيْسَ مِنْ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ"، (مُتَّفَقٌ عَلَيه).

هُناك رأيان في المسألة:

الرأيُ الأول: التفضيل بين الأمرين: الصَّوْمُ أَفْضَلُ مطلقاً : لَمَنْ قَوِيَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَشُقَّ عليه.

الْفِطْرُ أَفْضَلُ مطلقاً: عَمَلاً بِالرُّخْصَةِ.

الرأيُ الثاني : التخيير بين الأمرين.

الحالة الثانية : مَنْ شَرَعَ فِي الصَّوْمِ ثُمَّ أراد أن يُفطر

عَنْ جَابِرٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ فِيمَا فَعَلْتُ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَأَفْطَرَ بَعْضُهُمْ وَصَامَ بَعْضُهُمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّ نَاساً صَامُوا فَقَالَ: أُولَئِكَ الْعُصَاةُ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ) .

الخلاصةُ: يَجُوزُ لِلْمُسَافِرِ أَنْ يُفْطِرَ بَعْدَ أَنْ نَوَى الصِّيَامَ مِنْ اللَّيْلِ، وليس أنَّ من نوى الصيامَ لابدَ أن يُكملَ صيامَه .

الحالةُ الثالثة : متى يُفطرُ المُسافر ؟

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ إِلَى حُنَيْنٌ وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فَصَائِمٌ وَمُفْطِرٌ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مَاءٍ، فَوَضَعَهُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَوْ رَاحَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ النَّاسُ الْمُفْطِرُونَ لِلصُّوَّامِ أَفْطِرُوا. (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ) .

والخلاصةُ: يَجُوزُ لِلْمُسَافِرِ الْإِفْطَارُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ السَّفَرِ لِقَوْلِ ابن عباس ﷺ : فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى رَاحِلَتِهِ، وليسَ الانتظارَ لمسافةٍ معينةٍ أو لحدوثِ المشقةِ.

الحالةُ الرابعة : مَنْ كَانَ مسافراً ثم أقام بِبَلَدٍ وَفِي عَزْمِهِ السَّفَرُ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ وَصَامَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ (الْمَاءُ الَّذِي بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعُسْفَانَ)، فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). غزوةُ الْفَتْحِ كَانَت لِعَشْرٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ.

الْأَصْلُ فِي الْمُقِيمِ أَنْ لَا يُفْطِرَ لِزَوَالِ صفةِ السَّفَرِ عَنْهُ إِلَّا بِدَلِيلٍ، وَقَدْ دَلَّ هذا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مُقِيماً بِبَلَدٍ وَفِي عَزْمِهِ السَّفَرُ يُفْطِرُ مِثْلُ الْمُدَّةِ الَّتِي أَفْطَرَهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهِيَ عَشْرَةُ أَيَّامٍ، فَيَقْتَصِرُ عَلَى ذَلِكَ .

الحاملُ والمرضع:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ الْكَعْبِيّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَضَعَ عَنْ الْمُسَافِرِ الصَّوْمَ وَشَطْرَ الصَّلَاةِ ، وَعَنْ الْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ الصَّوْمَ". (رَوَاهُ الْخَمْسَةُ) .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة 184) .

على أساس أنَّ الحاملَ والمرضعَ في حُكمِ المرضى.

الخلاصةُ: يَجُوزُ لِلْحُبْلَى وَالْمُرْضِعِ الْإِفْطَارُ ، لاسيما إِذَا خَافَتْ الْمُرْضِعَةُ عَلَى الرَّضِيعِ ، وَالْحَامِلُ عَلَى الْجَنِينِ ، وعليهما القضاءُ . وقال البعضُ بالفِدية ، ولا دليلَ عليه.[10]

الشيخُ الهرِم والمريضُ الذي لايُرجى بُرؤه.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ { وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْتَدِيَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ { فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ } فَأَثْبَتَ اللَّهُ صِيَامَهُ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ، وَرَخَّصَ فِيهِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ، وَثَبَتَ الْإِطْعَامُ لِلْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ (رواه أحمد وأبو داود).

الشيخُ الهرِم : أي الطاعنُ في السنِ ولايستطيعُ أن يصومَ .

يُطيقونه: أي يتجشمونه . وجَشِمَ الأمرَ أي تكلَّفه على مشقةٍ .

والخلاصة : الشيخُ الكبيرُ والمرأةُ الكبيرةُ إذا لم يَسْتَطِيعَا أَنْ يَصُومَا ، يُفطران ويُطْعِمَان مَكَانَ كُلِّ يَوْمٍ مِسْكِينًا (الفِدية). والمريضُ الذي لايُرجى بُرؤه : ألحقه العلماء بالشيخِ الهرِم .

المُرهقُ من الجوعِ والعطشِ :

من أرهقه جوعٌ مفرط أو عطشٌ شديد ، قد ألحقه الفقهاءُ بالمريضِ، فله أن يُفطرَ بشرطين :

1. خوفُ الهلاك أو نقصانُ عقل أو ذهاب حواس، بغلبة الظن، لأنَّ حفظَ النفسِ والمنافعِ واجب[11].

---

[10] دفع الفدية عن الحامل والمرضع هو رأي شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى ودليله الآية (وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) على أساس أن الحامل والمرضع لا تطيقان الصيام بسبب الحمل والرضاعة وهما حالاتان طبيعيتان وليستا مرضيتان والله أعلم، وهناك قول آخر أن تفطران بدون فدية وهو قول ابن حزم رحمه الله (الناشر).

[11](القوانين الفقهية ص 82)

2. أن لايكون ذلك بإتعابِ نفسِه (أي هو المتسبب) .

ومثَّلوا له بأصحابِ المهنِ الشاقةِ (إذا لم يكن منها بُد). فعليه أنْ ينويَ الصيامَ من الليل، فإذا لحقته مشقةً أفطر[12].

المُكره :

الإكراهُ هو حملُ الإنسانِ غيرَه على فعلٍ أو تركِ مالايرضاه بالوعيدِ. كالإكراه بالقتل: فيجوز الإفطار، وعليه القضاءُ أو يجوزُ الامتناع، حتى ولو قُتل ، ويُثابُ على ذلك، لأنَّه بذل نفسَه للهِ تعالى.

صومُ المُجاهدين :

أولاً : الأصلُ في صومِ المجاهدين أنَّه كصومِ بقية المسلمين.

ثانيًا : إذا كان المجاهدُ مسافرًا جاز له الفطر مُطلقًا ؛ لأنَّه داخل في عموم المسافرين الذين يُباح لهم الفطر .

ثالثًا : أما المجاهدُ المقيمُ غير المسافر:

(1) فإن كان لا يشقُّ عليه الصوم، أو كان لا يقاتلُ في النهار: فالأصلُ أن يصوم كبقية المسلمين.

(2) أما إن كان يجاهد أثناء النهار ويشقُّ عليه الصوم، وبخاصة مع حرارة الصيف، فجمهورُ أهل العلم أنَّه يجوز له الفطر ، وعليه القضاءُ بعد انتهاء شهر رمضان .

واستدلوا بما يلي :

أ / الْفِطْرَ للمجاهد أَوْلَى مِنَ الْفِطْرِ للمسافر ، بَلْ إِبَاحَةُ الْفِطْرِ لِلْمُسَافِرِ تَنْبِيهٌ عَلَى إِبَاحَتِهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، فَإِنَّهَا أَحَقُّ بِجَوَازِهِ، لِأَنَّ الْقُوَّةَ هُنَاكَ تَخْتَصُّ بِالْمُسَافِرِ، وَالْقُوَّةَ هُنَا لَهُ وَلِلْمُسْلِمِينَ، وَلِأَنَّ مَشَقَّةَ الْجِهَادِ أَعْظَمُ مِنْ مَشَقَّةِ السَّفَرِ، وَلِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْحَاصِلَةَ بِالْفِطْرِ لِلْمُجَاهِدِ أَعْظَمُ مِنَ الْمَصْلَحَةِ بِفِطْرِ الْمُسَافِرِ .

---

[12] (كشاف القناع 2/ 310)

ب / الفطرُ عند لقاءِ العدو من أسبابِ القوة ، وقد أمرنا اللهُ تعالى باتخاذِ القوة كما قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: 60]، والتقويةُ عند لقاءِ العدوِ مقصد شرعيٌ، وهو لا يتحصلُ إلا بالفطرِ والغِذاء .

ج / إباحةُ الفطر ليست خاصة بالمسافرِ والمريضِ، بل هي مباحةُ لمن خشي تلف نفسه بالصوم أو أفطر من أجل تحقيق مصلحة عظيمة.

قال الشوكاني رحمه الله : ووجوب الإفطار لخشيةِ التلفِ معلومٌ من قواعدِ الشريعةِ كُلياتها وجزئياتها، كقوله تعالى: ﴿لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29]، وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: 16]، وقوله ﷺ: "إذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم"، أهـ.

(3) الفطرُ أفضلُ وأولى للمجاهد إن كان فيه تقويتة، كما ورد في حديث أبي سعيدٍ ﵁ قال: سَافَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ وَنَحْنُ صِيَامٌ فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّكُمْ قَدْ دَنَوْتُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ"، فَكَانَتْ رُخْصَةً، مِنَّا مَنْ صَامَ وَمِنَّا مَنْ أَفْطَرَ، ثُمَّ نَزَلْنَا مَنْزِلاً آخَرَ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ مُصَبِّحُوا عَدُوِّكُمْ وَالْفِطْرُ أَقْوَى لَكُمْ فَأَفْطِرُوا"، فَكَانَتْ عَزْمَةً فَأَفْطَرْنَا. (رواه مسلم) .

وقال ابن القيم رحمه الله في زادِ المعاد: وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالْفِطْرِ إِذَا دَنَوْا مِنْ عَدُوِّهِمْ لِيَتَقَوَّوْا عَلَى قِتَالِهِ. أهـ.

صومُ التطوع : أيامُ التطوع هي:

الإثنين والخميس من كلِّ أسبوع / ثلاثةُ أيام من كل شهر/ وستةُ أيامٍ من شوال / تسعُ أيامٍ من ذي الحجة وتأكيدُ يومِ عرفةٍ لغيرِ الحاج / أيامٌ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وتأكيدُ يومِ عاشوراء (الْيَوْمُ الْعَاشِرُ) / أيامٌ من شهرِ شعبان / صيامُ يومٍ وفطرُ يومٍ .

صومُ التطوعِ لا يَلزمُ بالشروع (أي لايجبُ بالابتداء فيه).

عَنْ أُمِّ هَانِئٍ ﵂ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَدَعَا بِشَرَابٍ فَشَرِبَ ، ثُمَّ نَاوَلَهَا فَشَرِبَتْ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا إِنِّي كُنْتُ صَائِمَةً ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّائِمُ الْمُتَطَوِّعُ أَمِيرُ نَفْسِهِ، إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ) .

عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، فَقَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ فَنَامَ ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ نَمْ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمْ الْآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "صَدَقَ سَلْمَانُ"، (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ) .

(مُتَبَذِّلَةً) أَيْ لَابِسَةً ثِيَابَ الْبِذْلَةِ وَهِيَ الْمِهْنَةُ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تَارِكَةٌ لِلُبْسِ ثِيَابِ الزِّينَةِ .

(لَيسَتْ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا) أي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ .

(صَدَقَ سَلْمَانُ) فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ النُّصْحِ لِلْمُسْلِمِ وَتَنْبِيهُ مَنْ غَفَلَ ، وَفَضْلُ قِيَامِ آخِرِ اللَّيْلِ، وَثُبُوتُ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ ، وَجَوَازُ الاستغناءِعَنْ الْمُسْتَحَبَّاتِ إِذَا خُشِيَ تَفْوِيتِ الْحُقُوقِ الْمَطْلُوبَةِ ، وَجَوَازِ الْفِطْرِ مِنْ صَوْمِ التَّطَوُّعِ .

الخلاصةُ: يَجُوزُ لِمَنْ صَامَ تَطَوُّعًا أَنْ يُفْطِرَ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي دَعْوَةٍ إِلَى طَعَامِ أَحَدٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ .

صومُ الإثنينِ والخميسِ من كُلِّ أسبوع .

عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ (رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا أَبَا دَاوُد).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ) .

الخلاصةُ: اسْتِحْبَابُ صَوْمِ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ لِأَنَّهُمَا تُعْرَضُ فِيهِمَا الْأَعْمَالُ على الله تعالى .

صيامُ ثلاثةِ أيامٍ من كُلِ شهر

عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا صُمْتَ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةً فَصُمْ ثَلَاثَ عَشَرَةَ وَأَرْبَعَ عَشَرَةَ وَخَمْسَ عَشَرَةَ"، (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ) .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ صَامَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } الْيَوْمُ بِعَشَرَةٍ (رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالتِّرْمِذِيُّ) .

(فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ) وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا ، فَيَعْدِلُ صِيَامَ الثَّلَاثَةِ الْأَيَّامِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الشَّهْرِ كُلِّهِ ، فَيَكُونُ كَمَنْ صَامَ الدَّهْرَ .

صيامُ ستٍ من شوال

عَنْ أَيُّوبَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ فَذَاكَ صِيَامُ الدَّهْرِ"، (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ وَالنَّسَائِيُّ) .

قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ لِأَنَّ الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا فَرَمَضَانُ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَالسِّتَّةُ بِشَهْرَيْنِ .

والخلاصةُ: اسْتِحْبَابُ صَوْمِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ عَقِبَ يَوْمِ الْفِطْرِ، متوالية أو متفرقة.

صيامُ التسعةِ الأولى من ذي الحجة وتأكيدُ يومِ عرفةٍ لغيرِ الحاج

عَنْ حَفْصَةَ ﷺ قَالَتْ: أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنْ يَدَعُهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: صِيَامُ عَاشُورَاءَ، وَالْعَشْرِ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَالرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ. (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ بِعَرَفَاتٍ (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ).

قال ﷺ عن صومِ يومِ عرفة: أحتسبُ على الله أن يكفرَ السُنَّةَ التي قبله والسُنَّة التي بعده» (رواه مسلم). لكن من كان في عرفة حاجاً فإنّه لا يُستحب له الصومُ، لأنّ النبي ﷺ وقف بعرفةٍ مُفطراً.

والخلاصةُ: استحبابُ صيامِ التسعةِ الأولى من ذي الحجة ، وآكدها يومَ عرفةٍ لغيرِ الحاج .

صيامُ أيامٍ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ وتأكيدُ يوم عاشوراء (الْيَوْمُ الْعَاشِرُ)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنه ﷺ سُئِلَ أَيُّ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: "شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ" (رواه الجماعة إلا البخاري). وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ صِيَامِ التَّطَوُّعِ صَوْمُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: "مَا هَذَا ؟"، قَالُوا: يَوْمٌ صَالِحٌ نَجَّى اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ فَصَامَهُ مُوسَى، فَقَالَ: "أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ"، فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. (متفقٌ عليه).

عن أبي قتادة ﵁ أنَّ النبي ﷺ قال: "صيامُ يومِ عاشوراء، أحتسبُ على الله أنْ يُكفِّرَ السُنَّة التي قبله". (أخرجه مسلم).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﵄ قَالَ: لَمَّا صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ: "إِذَا كَانَ العَامُ الْمُقْبِلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ" قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُد). إذن السُنَّة هي صيامُ يومِ تاسوعاء وعاشوراء .

صيامُ أيامٍ من شعبان

وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ. (مُتَّفَقٌ عليه) .

وعن أُسَامَةَ ﵁ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنْ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ ﷺ : ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ (أَخْرَجه النَّسَائِيّ وَأَبُو دَاوُد وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ) .

صيامُ يومٍ وفطرُ يومٍ

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو﵄ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ"، قُلْتُ: إِنِّي أَقْوَى مِنْ ذَلِكَ، فَلَمْ يَزَلْ يَرْفَعُنِي حَتَّى قَالَ: "صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ، وَهُوَ صَوْمُ أَخِي دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ". (مُتفقٌ عليه).

(فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الصِّيَامِ) مُقْتَضَاهُ أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ الصَّوْمِ مَفْضُولَةٌ.

الصيامُ المكروه

إفرادُ يوم الجمعةِ أو السبتِ بخصوصهما / صومُ الوصال / صومُ الدهر / استقبالُ رمضانٍ بيومٍ أو يومين.

إفرادُ يومِ الجمعة بالصوم

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَصُومُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَبْلَهُ يَوْمٌ، أَوْ بَعْدَهُ يَوْمٌ (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ) .

إفرادُ يومِ السبت بالصوم

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ عَنْ أُخْتِهِ وَاسْمُهَا الصَّمَّاءُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَا تَصُومُوا يَوْمَ السَّبْتِ إِلَّا فِيمَا افْتُرِضَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا عُودَ عِنَبٍ أَوْ لِحَاءَ شَجَرَةٍ فَلْيَمْضُغْهُ"، (رَوَاهُ الْخَمْسَةُ إِلَّا النَّسَائِيّ) .

ولعل السبب أنَّه يومٌ تعظمه اليهود، فيكونَ تشبهاً بهم.

صومُ الوِصال

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ الْوِصَالِ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْعَلُهُ ، فَقَالَ: "إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي". (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) .

(يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي): لعلهَ مَجَازٌ عَنْ لَازِمِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَهُوَ الْقُوَّةُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يُعْطِينِي قُوَّةَ الْآكِلِ وَالشَّارِبِ .

هُناك رأيان في المسألة :

الرأيُ الأولُ : الوصالُ حرامٌ لغيرِ النبي ﷺ، وهو الراجح للحديثِ السابق.

الرأيُ الثاني: الوصالُ مكروه.

صومُ الدهرِ

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ ﷺ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ بِمَنْ صَامَ الدَّهْرَ؟ قَالَ: "لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ". (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ إِلَّا الْبُخَارِيَّ وَابْنَ مَاجَهْ) .

(لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ) أَيْ لَمْ يَحْصُلْ أَجْرَ الصَّوْمِ لِمُخَالَفَتِهِ وَلَمْ يُفْطِرْ ؛ لِأَنَّهُ أَمْسَكَ .

هُناك رأيان في المسألة :

الرأيُ الأول: كَرَاهِيَةُ صَوْمِ الدَّهْرِ أو تحريمه (وبالذات مَنْ صَامَهُ جَمِيعًا وَلَمْ يُفْطِرْ الْأَيَّامَ الْمَنْهِيَّ عَنْهَا كَالْعِيدَيْنِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ، لأنَّه يأثم بصيامِهم)، وهو الراجح .

الرأيُ الثاني: استحبابُ صومِ الدهر إلا مَنْ كَانَ يُدْخِلُ عَلَى نَفْسِهِ مَشَقَّةً أَوْ يُفَوِّتُ حَقاً على أساس أنَّه زيادةٌ في العملِ الصالحِ (وهو ضعيف).

استقبالُ رمضانٍ بيومِ أو يومين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْماً فَلْيَصُمْهُ". (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ).

(لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ . . . إلخْ) لَا تَسْتَقْبِلُوا رَمَضَانَ بِصِيَامٍ عَلَى نِيَّةِ الِاحْتِيَاطِ لِرَمَضَانَ.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ : الْعَمَلَ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ ، كَرِهُوا أَنْ يَتَعَجَّلَ الرَّجُلُ بِصِيَامٍ قَبْلَ دُخُولِ رَمَضَانَ أهـ.

الصيامُ المُحرَّم

(1) صومُ يومِ عيدِ الفطر وعيدِ الأضحى وأيام التشريق (ثلاثةُ أيامٍ بعد يومِ النحر) .

(2) صيامُ الحائض والنفساء[13]، وقد أمرَ النبيُصلى الله عليه وسلم الحائض والنفساء أنْ تقضيَ الصومَ .

النهي عن صومِ العيدين

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَهَى عَنْ صَوْمِ يَوْمَيْنِ: يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ) .

تَحْرِيمِ صَوْمِ هَذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ يكونُ بِكُلِّ حَالٍ، سَوَاءٌ صَامَهُمَا عَنْ نَذْرٍ أَوْ تَطَوُّعٍ أَوْ كَفَّارَةٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَالْحِكْمَةُ قد تكونُ فِي الإِعْرَاضِ عَنْ ضِيَافَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ.

النهيُ عن صيامِ أيامِ التشريق

عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ وَأَوْسَ بْنَ الْحَدَثَانِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ فَنَادَيَا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَأَيَّامُ مِنًى أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ (رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

[13](القوانين الفقهية ص78)

عَنْ أَنسٍ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ صَوْمِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ فِي السُنَّة : يَوْمِ الْفِطْرِ وَيَوْمِ النَّحْرِ ، وَثَلَاثَةِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ (رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَا: لَمْ يُرَخِّصْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ أَنْ يُصَمْنَ إِلَّا لِمَنْ لَمْ يَجِدْ الْهَدْيَ (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). وَلَهُ عَنْهُمَا أَنَّهُمَا قَالَا: الصِّيَامُ لِمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ إِلَى يَوْمِ عَرَفَةَ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ هَدْياً وَلَمْ يَصُمْ صَامَ أَيَّامَ مِنًى .

أَيَّامَ التَّشْرِيقِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بَعْدَ يَوْمِ النَّحْرِ . وَسُمِّيَتْ كذلك لِأَنَّ لُحُومَ الْأَضَاحِيّ تُشَرَّقُ فِيهَا : أَيْ تُنْشَرُ فِي الشَّمْسِ .

هُناك رأيان في المسألة:

الرأي الأول: تَحْرِيمُ صيام أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مطلقاً ، وَاسْتَدَلُّوا بالأَحَادِيثِ السابقة .

الرأي الثاني: مَنْعُ صيامِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ إِلَّا لِلْمُتَمَتِّعِ الَّذِي لَا يَجِدُ الْهَدْيَ. وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَابْنِ عُمَر رضي الله عنهما. وَهَذِهِ الصِّيغَةُ لَهَا حُكْمُ الرَّفْعِ (وهو الراجح) .

قضاءُ رمضان

عَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "قَضَاءُ رَمَضَانَ إِنْ شَاءَ فَرَّقَ، وَإِنْ شَاءَ تَابَعَ". (رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيّ) .

هُناك رأيان في المسألة :

الرأي الأول: جَوَازِ التَّفْرِيقِ ، وهو الراجح ، لغيابِ الدليلِ على وجوبِ التتابع .

الرأي الثاني: وُجُوبُ التَّتَابُعِ ، وهو ضعيف .

تأخيرُ القضاءِ إلى شهرِ شعبان .

عَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ ، فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَ إِلَّا فِي شَعْبَانَ، وَذَلِكَ لِمَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (رَوَاهُ الْجَمَاعَةُ) .

تقصد الشُّغْلُ بِالنَّبِيِّ ﷺ . والخلاصة : جوازُ ذلك .

تأخيرُ القضاءِ إلى رَمَضَان آخَرُ

هُناك رأيان في المسألة :

الرأي الأول: عدم وجوب الفدية. لأَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِي ذَلِكَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ، وهو الراجح .

الرأي الثاني: تَلْزَمُه الْفِدْيَةُ، وهو ضعيف .

الصيامُ عن الميّت

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَعَلَيْهَا صَوْمُ نَذْرٍ أفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ فَقَالَ: "أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ فَقَضَيْتِهِ أَكَانَ يُؤَدَّى ذَلِكَ عَنْهَا؟" قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: "فَصُومِي عَنْ أُمِّكِ". (أَخْرَجَاهُ) .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ (مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ).

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: بيْنَما أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذْ أَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى أُمِّي بِجَارِيَةٍ وَإِنَّهَا مَاتَتْ ... (إلى أن قَالَتْ): يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ كَانَ عَلَيْهَا صَوْمُ شَهْرٍ أَفَأَصُومُ عَنْهَا ؟ قَالَ: "صُومِي عَنْهَا"، قَالَتْ: إنَّهَا لَمْ تَحُجَّ قَطُّ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ: "حُجِّي عَنْهَا" (رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ) .

(مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صِيَامٌ) هَذِهِ الصِّيغَةُ عَامَّةٌ، وتشمل أَيُّ صَوْمٍ كَانَ .

(صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ) خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ تَقْدِيرُهُ : فَلْيَصُمْ .

(وَلِيُّهُ) قِيلَ كُلُّ قَرِيبٍ ، وَقِيلَ : الْوَارِثُ خَاصَّةً.

وهناك رأيان في المسألة :

الرأي الأول: يُصامُ عن الميتِ مطلقاً ، وهو الراجح، لورود الأدلة .

الرأي الثاني: لَا يُصَامُ عَنْ الميتِ إِلَّا النَّذْرُ ، وهو ضعيف، والله أعلم .

الجزء الثاني : فقه الغزوات الإسلامية

دروسُ السيرةِ، ولاسيما الغزوات، كان يحرصُ الصحابة على تحفيظ أحداثِها لأبنائهم كما يحفظونهم آياتِ القرآنِ الكريم.

غزوةُ بدرٍ الكبرى

1. تُعد غزوة بدر الكبرى أولُ معركة في الإسلام قامت بين الحق والباطل؛ لذلك سُميت يوم الفرقان (17 رمضان ـ 2 هجرية). وكانت البدايةُ حينما خرج المسلمون للقاءِ قافلةِ أبو سفيان ولم يكونوا خارجين للقتال، ولكنَّ اللهَ أرادَ لهم قِتالَ الكفارِ واستئصالَ شوكتهم. (درسٌ هام: عدمُ اغفالِ إرادةِ الله تعالى).

2. عندما هاجرَ الرسولُ والمسلمون إلى المدينة شرعوا في تكوين دولتهم الوليدة، وسط مخاطر كثيرة وتهديدات متواصلة من قوى الكفر والطغيان في قريش التي ألَّبت العربَ كُلَّهم على المسلمين في المدينة، وفي هذه الظروفِ الخطيرةِ أنزل اللهُ تعالى الإذنَ بالقتالِ للمسلمين لإزاحة الكفرِ (درسٌ هام: سنةُ التدافعِ حتميةٌ) .

3. اتبعَ الرسولُ ﷺ سياسةً حكيمة في القتال تقوم أساساً على إضعاف القوة الاقتصادية لقريش بالإغارة على القوافلِ التجاريةِ المتجهةِ للشام. وبالفعل انطلقت السرايا، واشترك في بعضِها الرسولُ بنفسِه. وعندما جاءت الأخبار للرسولِ بأنَّ عيرًا لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب قد خرجتْ إلى الشام فخرج يطلبُها ففاتته إلى الشام فرجع إلى المدينة وهو ينتظر عودتَها من الشام ليأخذها. ونقلت له العيون بأنَّ القافلة راجعة من الشام مُحملةٌ بثرواتٍ هائلة (درسٌ هام: الضرباتُ الاقتصادية للعدو) .

4. ندبَ الرسولُ ﷺ الناسَ للخروجِ لأخذِ هذه القافلةِ، فتكونُ ضربةً قاصمةً لقريش، فاجتمعِ عنده ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وخرجوا وهم يظنون أنَّهم لا يلقون حرباً كبيرة.

5. كان أبو سفيان قائدُ القافلةِ في غاية الذكاء والحذر وكان يتحسسُ الأخبارَ ويسألُ من لقي من الرُكبان حتى عرفَ بخروجِ الرسولِ ﷺ والصحابةِ رضي الله عنهم لأخذِ القافلةِ، فاستأجرَ رجلاً وكلَّفه بالذهابِ إلى قريشٍ ليستنفرَها لنجدتِهم ، فثاروا جميعًا وأسرعوا للإعدادِ لحربِ المسلمين، حتى بلغَ الجيشُ المكي ألف وثلاثمائة مقاتل. ولما أجمعوا على المسيرِ خافوا من غدرِ قبائلِ بني بكر وكانت بينهما عداوةٌ وحرب، فتبدَّى لهم إبليسُ لعنه الله في صورةِ سُراقةِ بن مالك سيدِ بني كنانة، وقال لهم: أنا جارٌ لكم من أنْ تأتيكم كنانةٌ من خلفِكم بشيءٍ تكرهونه.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأنفال 48) .

6. استخدمَ أبو سفيان ذكاءَه وحذره الشديد حتى استطاع أن يعرفَ موقعَ جيشِ المسلمين ببدرٍ ويُحولَ خط سير القافلة بعيداً عن بدر، وبهذا نجا بالقافلةِ وأرسلَ رسالةً للجيش المكي بهذا المعنى، فهمّ الجيش بالرجوعِ ولكن فرعونَ هذه الأمة أبي جهل صدَّهم عن ذلك.

7. لم يكن يظن المسلمون أنَّ سيرَ الحرب سيتحول من إغارة على قافلةٍ بحراسةٍ صغيرة إلى صِدامٍ مع جيشٍ كبيرٍ مسلح، فعقد الرسول ﷺ مجلساً للشورى مع أصحابه رضي الله عنهم وعرض عليهم مُستجداتِ الأمرِ، وشاورهم في القضية، ليعرف استعدادَهم لمواصلةِ الحربِ المقبلة (درسٌ هام: الشورى أصلٌ هام من أصولِ الحكم) .

فقام أبو بكر وعمر والمقداد رضي الله عنهم فتكلموا وأحسنوا، وبينوا أنَّهم لا يتخلفون عن رسولِ الله ﷺ أبدًا، ولا يعصون له أمرًا ، فأعادَ الرسول ﷺ الأمر، وقال: أشيرواعليّ أيها الناس، وكان يُريد بذلك الأنصارَ ليتعرفَ استعدادَهم لذلك، وكان الاتفاق مع الأنصارِ على الدفاع عن المسلمين في المدينةِ فقط، وليس القتالُ خارجَ المدينة .

قال سعد بن معاذ رضي الله عنه : والله لكأنك تريدُنا يا رسولَ الله !! قال: أجل، قال: فقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أنَّ ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقَنا على السمع والطاعة؛ فامضِ يا رسولَ الله لِما أردتَ؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضتَ بنا هذا البحر فخضتَه

لخُضناه معك ما تخلف منَّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، وإنا لصُبرٌ في الحربِ صُدقٌ في اللقاءِ، ولعل اللهَ يُريكَ منَّا ماتقرّ بهِ عينُك، فسِرْ بنا على بركةِ الله (درسٌ هام: طريقة الرسول ﷺ لمعرفة رأي أصحابه، وموقفُ الصحابة رضي الله عنهم).

فسُرّ الرسول ﷺ بما قاله المهاجرون والأنصار، وقال: سيروا وأبشروا ؛ فإنَّ اللهَ تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين (يقصد الظفرُ بالقافلةِ أو النصرُ في القتال) .

الاستعدادُ للقتال

تحرك الرسول ﷺ واختار مكاناً للقتال، أشار الحبابُ بن المنذر رضي الله عنه بتعديله ليسهل على المسلمين التحكمُ في مصدرِ المياه. قال الحباب رضي الله عنه: أمنزلٌ أنزلكَه الله تعالى أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال ﷺ: بل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة، فأشار بمكانٍ آخر لتمركز المسلمين، وهو أن تكون آبارُ المياهِ خلفهم، حتى يشربوا ولايشرب العدو. ولقد زعم البعضُ بأنَّ هذه الرواية ضعيفة، فاللهُ أعلم.

أرسلَ اللهُ مطرًا من عنده، فنزل بردًا وسلاماً وتثبيتاً على المسلمين، ووابلاً ورجزاً على الكافرين، وقد كان الشيطان قد أصاب المسلمون رضي الله عنهم أثناءَ نومِهم ، فاحتلم منهم الكثير، فنزلَ المطرُ فطهَّرهم بذلك .

وعندما نزل المسلمون في مقرهم اقترح سعد بن معاذ رضي الله عنه بناء مقرٍ لقيادةِ النبي ﷺ استعداداً للطوارئ ؛ فبنى المسلمون عريشًا للنبي ﷺ ودخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه معه في العريش لحراسته. وأقامَ سعدَ بن معاذ رضي الله عنه كتيبة لحراسة العريش مقر القيادة. (درسٌ هامٌ : الاهتمامُ بمقرِ القيادةِ وتأمينِه) .

قضى الرسولُ ﷺ ليلهِ في الصلاةِ والدعاءِ والتبتل والتضرع لله وقد عبَّأ جيشَه ومشى في أرضِ المعركةِ وهو يقول: هذا مصرعُ فلان، وهذا مصرعُ فلان إنْ شاء اللهُ غداً، وقد استبشر الناسُ بالنصر. (درسٌ هامٌ : دورُ الدعاءِ في المعركة) .

وقع في صف الجيش المكي انشقاق عندما طلبوا من عُمير بن وهب الجمحي أن يدور دورة حول المعسكر الإسلامي ليُقدِّر تعدادَه، فدار دورةً واسعةً ثم عاد فقال لهم: عددُهم ثلاثمائة رجل، ولكني

رأيتُ يا معشرَ قريش المطايا تحملُ المنايا، نواضحُ يثرب تحملُ الموتَ الناقعَ، قومٌ ليس معهم منعةً ولا ملجأً إلا سيوفُهم؛ فواللهِ ما أرى أن يُقتلَ رجلٌ منهم حتى يَقتلَ رَجلاً مِنكُم. أهـ.

النَّضْحُ : الرشُ. نواضحُ يثربِ أي الخارجين مندفعين من المدينةِ.

وهنا دبَّ الرعب في قلوب الكافرين وقامت حركةٌ معارضةٌ للرجوعِ بالناس، ولكن أبا جهلٍ، فرعونَ الأُمةِ ، أفسدَ هذه المعارضة .

اندلا عُ القتال:

كان أولُ وقودِ غزوةِ بدر الأسود بن عبد الأسد المخزومي. وكان رجلاً شرسًا سيئ الخلق، أراد أن يشربَ من حوض النبي ﷺ فقتله حمزة بن عبد المطلب ﵁ قبل أنْ يشربَ منه.

خرج ثلاثة من فرسان قريش هم عتبة وولده الوليد وأخوه شيبة وطلبوا المبارزة، فخرجَ ثلاثةٌ من الأنصارِ فرفضوهم، وطلبوا مبارزةَ ثلاثةٍ من المهاجرين، فأمرَ النبي ﷺ عبيدةَ بن الحارث وحمزةَ بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب ﵃ ، وكانوا أقربَ الناس للنبي ﷺ واستطاعوا قتلَ الكفارِ جميعاً .

استشاط الكافرون غضبًا لمقتلِ فرسانِهم وقادتِهم، فهجموا على المسلمين هجمةَ رجلٍ واحدٍ، ودارت رحى حربٍ طاحنةٍ في أولِ صدامٍ بين الحقِ والباطلِ، وبين جُندِ الرحمنِ بقيادةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلم، وجُندِ الشيطانِ بقيادةِ فرعونَ الأمةِ أبي جهل.

قال الرسول ﷺ يناشدُ ربه ويتضرعُ ويدعو ويبتهل: اللهم إنْ تَهلكَ هذه العصابةُ اليومَ لا تُعبد، اللهم إن شئت لم تُعبدْ بعد اليوم، وبالغَ في الاجتهادِ والتضرعِ حتى سقطَ رداؤه عن منكبيه (درسٌ هامٌ : دورُ الدعاءِ في المعركة مع الأخذِ بالأسباب) .

أغفى رسولُ الله ﷺ إغفاءة واحدة ثم رفعَ رأسه، فقال: أبشرْ يا أبا بكر، هذا جبريل على ثناياه النقع ، فلقد جاء المددُ الإلهي ألفٌ من الملائكة يقودُهم جبريل، فخرج رسول الله ﷺ من باب العريش وهو يثب في الدرع ويقول: سيُهزم الجمع ويولون الدبر، ثم أخذ حفنةً من الحصى فاستقبل بها قريشاً، وقال: شاهت الوجوه، ورمى بها في وجوهِهم، فما من المشركين من أحدٍ إلا أصابَ عينيه ومنخريه وفمه (درس هام : عدمُ اغفالِ المددِ الرباني) .

قام الرسولُ ﷺ يُحرض المسلمين رضي الله عنهم على القتال، فقال لهم: والذي نفسي بيده لا يقاتلنَّهم اليومَ رجلٌ فيُقتَلُ صابرًا مُحتسبًا مُقبلاً غيرَ مدبرٍ إلا أدخلَه اللهُ الجنةَ، قوموا إلى جنةٍ عرضُها السمواتِ والأرض . قال عُمير بن الحمام رضي الله عنه : لئن أنا حييتُ حتى آكل تمراتي هذه، إنَّها لحياةٌ طويلة ، فرمى بما كان معه من التمرِ ثم قاتلهم حتى قُتِل رحمه الله .

سأل عوفُ بن الحارث رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال : يا رسولَ الله ما يُضحكُ الربَ من عبدِه ؟ قال الرسولُ ﷺ: "غمسه يدَهُ في العدوِ حاسرًا "، (أي مكشوفاً بلا درع)، فنزع عوفُ درعًا كانت عليه، ثم أخذَ سيفَه فقاتلَ حتى قُتل (درس هام : التحريضُ على القتال ، وصدقُ الصحابةِ رضي الله عنهم) .

جاء غلامان صغيران هما مُعاذ بن عمرو ومُعوذ بن عفراء رضي الله عنهما، وظلا طوال القتال يبحثان عن أبي جهل لأنَّهما أقسما أن يقتلاه؛ لأنَّه سبَّ رسول الله ﷺ، وبالفعل وصلا إليه حتى قتلاه، وقام ابن مسعود رضي الله عنه بحزِّ رأسه وحملها للنبي ﷺ الذي قال عندما رآها: اللهُ أكبر والحمدُ لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزمَ الأحزاب وحده، هذا فرعون هذه الأمة (درسٌ هام : دور الشباب المسلم في المعركة) .

ضربَ الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الاستعلاءِ بإيمانِهم وعقيدتِهم، وبيَّنوا لنا كيف تكون عقيدة الولاء والبراء: فلقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه، وقتل عمر بن الخطاب خاله، وهمَّ أبو بكر أن يقتل ولده عبد الرحمن، وأُخِذَ أبو عزيز أسيرًا في المعركة، فأمر أخوه مصعب بن عُمير بشد وثاقه وبطلبِ فديةٍ عظيمةٍ فيه (درسٌ هام : تطبيق الولاء والبراء في الواقع) .

نهايةُ غزوةَ بدر

استمرت المعركةُ الهائلة، والملائكةُ تقتل وتأسر من المشركين، والمسلمونرضي الله عنهم يضربون أروعَ الأمثلةِ في الجهادِ في سبيلِ الله والدفاعِ عن دينِهم ورسولِهم حتى انتهت المعركة بفوزٍ ساحقٍ للمسلمين: بسبعين قتيلاً وسبعين أسيراً، ومصرع قادةِ الكفر من قريش، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بطرح جيفِ المشركين في قُليبٍ (البئرُ قبل أن تُطوى) خبيثٍ في بدر، ثم أخذ يكلمهم:

"بئس العشيرة كنتم لنبيكم؛ كذبتموني وصدقني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس".

ونزل خبرُ هزيمة المشركين في غزوةِ بدر كالصاعقةِ على أهل مكة، حتى إنَّهم منعوا النياحة على القتلى؛ لئلا يشمتُ بهم المسلمون. وجاءت البشرى لأهلِ المدينة فعمتها البهجة والسرور، واهتزت أرجاؤها تهليلاً وتكبيرًا، وكان فتحًا مبيناً، ويوماً فرَّق الله به بين الحق والباطل .

غزوةُ أحد

استعداداتُ قريشٍ لغزوةِ أُحد

1. أوقفتْ قريشُ التصرفَ في قافلةِ أبي سفيان التي أفلتت في بدرٍ لتجهيزَ جيشٍ لحربِ المسلمين .

2. بدأت قريشُ تستنفر القبائل المحيطة بها للمساعدةِ والمعاونة لها ، وكوَّنت بالفعل جيشًا كبيرًا من داخلِ مكة وخارجها:

جمعوا ثلاثة آلاف مقاتل، وأخرجوا كلَّ زعمائِهم على رأس هذا الجيش ، والقائد العام لهم هو أبو سفيان بن حرب، والمساعدين هم : صفوان بن أمية، وعِكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد. وكان اللواءُ مع بني عبد الدار .

خرجت خمس عشرة امرأة من نساء قريش، تتقدمهم هند بنت عتبة زوجةَ أبي سفيان، يُحرِّضن المشركين على القتال .

3. أشعلتْ قريش حرباً إعلامية ضخمة تُحفِّز الناس على حرب المسلمين ، وقاد هذه الحرب الإعلامية أبو عزة الجمحي (كانَ أسيراً وأطلقه رسولُ الله صلى الله عليه وسلمَنًّا بغيرِ فداء) .

استعداداتُ المسلمين لغزوةِ أُحد

وضع المسلمين كان أفضل في أُحدِ على الرغم من تفوق المشركين في العددِ والعُدة:

أولاً : فَقَدت قريشُ مُعظم قادتها في بدر.

ثانيًا : كان لدى المسلمين من الوقت ما يستطيعون فيه أنْ يُجهِّزوا أنفسَهم لهذه الحرب جيداً ، ثم يخرجون ومعهم عُدَّة المحارب وليس المسافر كما كانوا في بدر.

ثالثًا: مكانُ المعركة سيكون إمَّا في المدينة المنورة أو قريباً منها، ومعنى ذلك أن على المشركين أنْ يسيروا مسافة خمسمائة كيلو مترٍ. أما بالنسبة للمسلمين فإنْ خرجوا من المدينة فسوف يخرجون إلى مكانٍ قريب، وهي مسافة لن تتجاوز العشرين كيلو متراً على الأكثر .

رابعًا: الجيشُ الإسلامي كان في حالةٍ معنوية مرتفعة للغاية ، بينما الحالة المعنوية لكفار قريش كانت في الحضيض بعد هزيمتِهم في غزوة بدر، وأيضاً بعد قطعِ طريق تجارتِهم مع الشام .

رسولُ الله ﷺ يتأهّب للمعركة

أولاً : تكوينُ فرقة تأمين لحماية رسول الله ﷺ وبيته والمسجد النبوي ، فهو بلا شك مُستهدف .

ثانيًا: عملُ فرق لحمايةِ المدينة المنورة ، حتى لا يُباغَتُ المسلمون ليلاً أو نهارًا .

ثالثًا: عملُ دوريات مراقبة حول المدينة المنورة؛ لاستطلاعِ مكانِ وخطواتِ وتحركاتِ جيش المشركين.

رابعًا: الاستعدادُ الكامل للقتالِ بتجهيزِ السلاح.

خامساً: مشاورةُ المسلمين في مكانِ القتال : هل يُقاتلون خارجَ المدينةِ المنورة، أم ينتظرون قدومَ جيشِ المشركين إليهم ؟

قصَّ رسول الله ﷺ عليهم رؤيا، وقال لهم: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ وَاللَّهِ خَيْرًا؛ رَأَيْتُ بَقَراً يُذْبَحُ، وَرَأَيْتُ فِي ذُبَابِ سَيْفِي ثُلْماً، وَرَأَيْتُ أَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ .

ـ رأى أنَّ بقرًا يُذبح، وأوَّلَ ذلك أنَّ نفرًا من أصحابه يُقتلون.

ـ ورأى أنَّ في سيفه كسراً ، فأوَّلَ ذلك بأنَّ رجلاً من أهل بيته يُصاب.

ـ ورأى أنَّه أدخل يده في درعٍ حصينة، وأوَّلَ ذلك بالمدينة المنورة ، أي أنَّه يُقاتِل في داخل المدينة المنورة .

كان هناك رأيان بعد المشاورة :

ـ الرأي الأول : القتالُ داخل المدينة أي يُقَاتِلُ الْمُسِلْمُونَ عَلَى أَفْوَاهِ الأَزِقَّةِ ، وَالنِّسَاءُ مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ. فالبقاءُ في المدينة المنورة سيضطرُ جيشُ مكة إلى دخول المدينة، وستكونُ الحربُ كما

يُسمونها (حرب شوارع)، وهي صعبةٌ جداً على الجيش المهاجم. وكان هذا رأيُ الرسول ﷺ والقليلُ من الصحابة وأيضاً رأي زعيم المنافقين عبد الله بن أُبيّ بن سلول .

ـ الرأي الثاني: قتالُ المشركين خارج المدينة المنورة. وكان رأيُ معظم المسلمين.

ـ الرسول ﷺ استقر على الرأي الثاني في نهايةِ الأمر .

الاستعدادُ للقتال

1. صلَّى رسول الله ﷺ بالناسِ يومَ الجمعة ، ووعظهم وأمرهم بالاجتهادِ والجد ، وبشرهم بالنصر إنْ هم صبروا وأطاعوا اللهَ ورسولَه .

2. بدأ النبيُ ﷺ شخصياً يستعدّ للخروجِ للقتال ، ولبسَ العُدة الكاملة للحرب .

3. قال سعدُ بن معاذ للمسلمين: استكرهتم رسولَ الله ﷺ على الخروجِ، فرُدُّوا الأمر إليه. فلما خرجَ وهو يرتدي عُدة الحربِ قالوا له: يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ، فاصنع ما شئت، إنْ أحببت أنْ تمكثَ بالمدينةِ فافعل. فقال لهم: مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ (درع الحرب) أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ .

4. بدأ نداءُ الجهاد في سبيل الله : فخرج الجميعُ للجهاد ، حتى خرجَ حنظلة بن أبي عامر ﷺ مباشرةً دون ترددٍ، وكان حديثُ عهدٍ بعرسٍ .

5. تجهيزُ الجيشِ: بدأ رسولُ الله يُعِدّ العدة ويصفُّ الصفوف، فجهّز ألفَ مقاتل، وجعل على كتيبة المهاجرين مصعبَ بن عمير ، وعلى كتيبة الأوس أُسيد بن حضير، وعلى كتيبة الخزرج الحباب بن المنذر.

6. الرسولُ ﷺ منع الاستعانةُ بالمشركين في القتال: ردَّ أحدَ المشركين ومنعه من المشاركة مع المسلمين في بدر، وقال: لاَ أَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ (رواه مسلم)، وردَّ كذلك كتيبةً من اليهودِ من حُلفاء الخزرج ، وقال : فَإِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ (نصبُ الراية لأحاديثِ الهداية / للزيلعي) .

7. تصارعَ شابان من المسلمين : رافعُ بن خديج وسَمُرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنَّ الرسولَ قبل الأول وردَّ الأخير ، فَصَرَعَ سَمُرَةُ رَافِعاً ، فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

العظاتُ والعبر

(1) الاستعدادُ العسكري بكلِّ الطاقةِ من المالِ والرجالِ.

(2) الواجبُ على المسلمين استنفارُ كلِّ من يساعدهم ، لاستخدامِ كل الطاقات الإسلامية. ومن هنا يجبُ تحريكِ الشعوبِ المسلمة ضد الطُغاة.

(3) خروجُ الكفاءاتُ من القياداتِ لإدارةِ المعركة.

(4) تحريضُ المؤمنين على القتالِ، مع عدمِ اغفالِ دورِ النساءِ في ذلك.

(5) الاهتمامُ بالحربِ الإعلاميةِ ضدَّ العدو.

(6) الاهتمامُ بالحالةِ المعنويةِ للمجاهدين.

(7) الشورى أصلٌ من أصولِ الحُكم.

(8) الاهتمامُ بحمايةِ القائدِ وحمايةِ الديارِ الإسلامية.

(9) الاهتمامُ بجمعِ المعلوماتِ عن العدو.

(10) الوعدُ بالنصرِ لمن يلتزمْ بطاعةِ الله تعالى ورسولِه ﷺ .

(11) أهميةُ صفةِ الحسمِ وعدمِ الترددِ، لاسيما في القيادة.

(12) إيثارُ الآخرةِ على الدنيا، فخرجَ للجهادِ من هو حديثُ عهدٍ بعُرس.

(13) أهميةُ الإعدادِ وتجهيزِ الجيشِ.

(14) عدمُ الاستعانةِ بالمشركِ في القتالِ (ويُمكن الاستعانةُ بالمشركِ فيما هو دون ذلك كالتصنيع الحربي أو الدلالة على الطريق ... الخ).

(15) حرصُ الشبابِ على المشاركةِ في القتالِ، فما بالُ الرجالُ تهربُ من الجهاد ؟

في الطريقِ إلى أُحُد

خرجَ عبدُ اللهِ بن أُبي بن سلول ومنْ على شاكلتِه وكانوا ثلاثمائة، في حركةِ تمردٍ على المسلمين ، وأبدى أنَّه غيرَ موافقٍ على القتال في هذه المعركة، مُتعلّلاً بأنَّه لم يكن من الموافقين على رأيِ الخروجِ من المدينة.

وناشدَ عبدُ الله بن حرام (والد جابر بن عبد الله) المنافقين: تعالَوْا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا .
فقالوا : لو نعلمُ أنَّكم تقاتلون لم نرجعْ . فقال لهم : أبعدَكُم اللهُ أعداءَ الله !
فسيُغني اللهُ عنكم نبيَه، (وهؤلاء نزلَ فيهم قولُ الله تعالى : وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا) .
فوجودُ المنافقين في الصفِ المسلمِ خطرٌ كبير: لأنَّهم سوف يكونون عيناً على المسلمين أو يُدلِون بآراءٍ فاسدة للجيشِ المسلم، وقد يُثيرون بعضَ الشبهاتِ في داخل الجيش المسلم، والتي تجعل بعض المؤمنين الصادقين يترددون في أمرِ القتال، وهذا عينُ ما حدث في غزوةِ أُحُد، فالكلمات التي قالها عبدُ الله بن أُبيّ، قبيل دخول أرض المعركة، أثَّرت في طائفتين من المسلمين الصادقين من الأوسِ والخزرجِ . فكلٌ منهما فكَّرَ جدياً في أمرِ الرجوع، لولا أنَّ اللهَ ثبَّتهم بصدقِ إيمانهم، وقد أقنعهم الصحابة بالبقاءِ في أرض المعركة حتى يُكملوا اللقاءَ، وفي حقِهم نزلَ قولُه تعالى (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلاَ) .

دخولُ النبي ﷺ أرضَ أُحدٍ

احتل الرسولُ ﷺ مواقع متميزة في أرضِ المعركة ، ووضع فرقة من الرماةِ على الثغرةِ الوحيدة الموجودة في أرضِ المعركة ، وأكَّد عليهم مراراً عدم التخلي عن مواقعهم مهما كانت الظروف. قال لعبدِ الله بن جبير قائد الرماة : انْضَحْ عَنَّا الْخَيْلَ بِالنَّبْلِ لَا يَأْتُونَ مِنْ خَلْفِنَا ، إِنْ كَانَتْ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا فَاثْبُتْ مَكَانَكَ، لَا نُؤْتَيَنَّ مِنْ قِبَلِكَ. ثم قال للرُماةِ : إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ .

بدءُ القتالِ

يوم السبت الموافق السابع من شوال 3 هـ ، بعد غزوةِ بدر بعامٍ تقريباً .
(1) أول ما بدء القتال كان حولَ رايةِ الكفار التي كانت مع بني عبد الدار، وكان أولُ من يحملُها طلحة بن أبي طلحة العبدري ، من أقوى فرسان قريش (يُسمونه كبش الكتيبة) ، الذي خرج ليطلبَ القتال . وتقدم الزبير بن العوام الذي لم يكتفِ بقتالِه بل قفز فوق جمله وجذبه إلى الأرضِ وبركَ فوقه وقتله ، ولما رأى النبيُ ﷺ الزبيرَ بن العوام يقتل كبش الكتيبة قال : أَلَا إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ

حَوَارِيًّا وَحَوَارِيّ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ . وَقُتِل يومئذٍ عشرة من بني عبد الدار، ثم سقط مولىً لهم بسبب نفس الراية ، ثم سقطت رايةُ المشركين .

الحواريُّ : الناصرُ لغيره ، لاسيما أنصارُ الأنبياء.

(2) احتدم القتالُ بين الفريقين وكان شعارُ المسلمين في هذا اليوم (أَمِتْ أَمِتْ) وكانت بدايةٌ قويةٌ بالنسبةِ للمسلمين ، فقد سقط إحدى عشر قتيلًا من المشركين مقابل لا شيء من المسلمين فكان النصرُ في البدايةِ حليفَ المسلمين وانهارت معنويات الكفار، ، وبدأ يُسيطر المسلمون على الموقف .

(3) قال ﷺ : مَنْ يَأْخُذ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ . أخذ أبو دجانة رضي الله عنه السيفَ من النبي ﷺ، وربط على رأسِه عصابةَ حمراء (عصابة الموت) . وجالَ في الأرضِ وقتلَ كثيراً من المشركين .

(4) قاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهقتالًا شديدًا أيضاً ، ولم يقفْ في وجهه أحدٌ أبدًا من المشركين ، لكن وقف في ظهرِه وحشي بن حرب أحد الغلمان في جيش المشركين ، وكان غلاماً لجبيرِ بن مطعم الذي وعدَه بالعِتقِ إنْ قتل حمزة . وفي أرض المعركة قتله بالحربه ، وعادَ إلى مكة ليُعتق .

(5) حاولَ خالدُ بن الوليد ـ وكان يومئذٍ مُشركاً ـ اختراق جيش المسلمين . رأىَ الثغرة التي يمكن له من خلالها أن يخترق جيش المسلمين والتفَّ بفرقةٍ كانت معه من فرسانِ المشركين حول جبل الرماة إلا أنه لم ينجح ، وكررَ ذلك مراتٍ عديدة .

نتيجةُ المعركةِ الأولية :

بدأت الهزيمةُ تدب في جيش المشركين رغم قلة المسلمين ، وبدأوا يفكرون جدياً في الهرب وبدأوا يتراجعون إلى الوراءِ شيئًا فشيئًا ثم فرُّوا قِبَل مكة ، فكان نصراً للجيش المسلم (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ) تحسونهم أي : تستأصلونهم .

والله تعالى قد وعدَ المؤمنين بالنصرِ إن كانوا صادقين وصابرين ومُتبعين للنبي ﷺ ، الذي بشَّرهم بذلك أيضاً قبل الخروجِ إلى أُحدٍ .

تغيرُ سيرِ المعركة :

(1) هرب المشركون إلى مكة وألقوا وراءَهم كلَّ شيء، ليتخففوا ويستطيعوا الهربَ ، والرماة من فوق الجبل رأوا الدنيا التي ألقاها المشركون خلفَهم ، فقرروا أنْ يتركوا مكانَهم ليجمعوا الغنائم ، فكانت مخالفة صريحةٍ واضحةٍ لأوامر النبي ﷺ . لكن عبد الله بن جبير القائد ذكَّرهم بما قاله النبي ﷺ ، وقال : أَنَسيتم ما أمركم به رسول الله ﷺ ؟! فقالوا : الغنيمة الغنيمة . وتخلى أكثرُ الرماة عن مواقعِهم ، ونزلوا ليجمعوا الغنيمةَ مع المسلمين .

(2) ولفتَ هذا الموقف نظر خالد بن الوليد ، والتفَّ هو بجيشِ المشركين حولَ الجبلِ ليخترق صفوف الجيش المسلم من خلفه ، وحاول عبد الله بن جبير ومن تبقى معه من الرماة أنْ يمنعوه ، لكنَّهم فشلوا في ذلك ، وأُستشهد عبد الله بن جبير رضي الله عنه ومن تبقى معه من المسلمين .

(3) والتفَّ خالدُ بن الوليد حولَ الجيش الإسلامي ، وصاح صيحةً أدرك منها المشركون الهاربون أنَّ خالداً التفَّ حول الجيش الإسلامي ، فعادوا للقتال ، وحُوصر المسلمون بين خالدِ بن الوليد من خلف الجيش ، والمشركين من أمامِ الجيش .

العظاتُ والعبر

(1) الحذرُ التامُ من المنافقين .

(2) سدُّ الثغراتِ في أرضِ المعركة ، من مهامِ القيادة العسكرية .

(3) الحرصُ على أنْ تكونُ الأوامرُ محددةٌ وفي منتهى الوضوح .

(4) الصحابةُ كانوا المثلَ الأعلى للجهادِ والتضحيةِ والبذل والفداء .

(5) الوعدُ بنصرِ اللهِ تعالى لمن ينصرُ دينه .

(6) السببُ الرئيسي للهزيمةِ هو عصيانُ رسولِ الله ﷺ ، وإيثارُ الدنيا على الآخرة .

(7) الاهتمامُ والاستعانةُ بالقياداتِ العسكرية الفذة كخالدِ بن الوليد رضي الله عنه.

الآياتُ والكراماتُ التي حدثت في الغزوة

أولاً : آيةُ النعاس

لما اشتدَّ الكربُ على المؤمنين ، وعلاهم من الغمّ ما علاهم ، ألقى اللهُ تعالى عليهم النعاس وهو النوم الخفيف ؛ لينسيَهم غمّهم ، ويزيلَ تعبهم ، ويجدّدَ نشاطهم ، فكان ذلك رحمةً من اللهِ تعالى بعباده ، وآيةً من آياته .

ثانياً : قتالُ الملائكة

روى الشيخان من حديث سعد ﷺ قال : رأيتُ رسول الله ﷺ يومَ أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشدِّ القتالِ ، ما رأيتُهما قبلُ ولا بعدُ .

الله تعالى قد وعد المؤمنين بأنّهم إنْ صبروا واتقوا أمدّهم بخمسةِ آلاف من الملائكة مُسوَّمين ، وكان قد فعل ، فلمَّا عصوا أمرَ رسول الله ﷺ وتركوا مصافَّهم ، وتركَ الرماةُ عهدَ رسول الله ﷺ ألا يبرحوا منازلَهم ، رفع اللهُ عنهم مددَ الملائكةِ ، وبقي من الملائكةِ للدفاعِ عن النبي ﷺ وحِفظه من العدو .

ثالثاً : كراماتُ الشهداء

التقى حنظلةُ بن أبي عامر وأبو سفيان ، فلما استعلاه حنظلة بن أبي عامر رآه شداد بن الأسود ، وقد علا أبا سفيان . فضربَه شدادٌ فقتله .

وقال النبي ﷺ في شأنِ حنظلة : إنّ صاحبكم تُغسله الملائكة فاسألوا صاحبته ، فقالت: إنَّه خرج لما سمع الهائعةَ وهو جُنُب ، فقال رسول الله ﷺ : لذلك غسَّلته الملائكةُ (رواه الحاكم) .

الهائعة : الصيحةُ التي فيها الفزع .

عن جابرٍ رضي الله عنهقال : قال أبي : أرجو أن أكون في أولِ من يصاب غدًا ، فأوصيك ببناتي خيراً ، فأُصيب ، فدفنتُه مع آخر، فلم تدعني نفسي حتى استخرجتُه ودفنته وحدَه بعد ستة أشهر ، فإذا الأرضُ لم تأكلْ منه شيئاً ، إلا بعض شحمة أُذنِه .

روى جابرٍ ﷺ قال: لما قُتِل أبي جعلت أكشف الثوبَ عن وجهه وأبكي ، وينهوني عنه وهو لا ينهاني ، فجعلتْ عمّتي فاطمة تبكي ، فقال النبي ﷺ : تبكين أو لا تبكين ، فما زالت الملائكةُ تُظِلُّهُ بأجنحتِها حتى رفعتموه (رواه الشيخان) .

قال جابرٌ ﷺ : قال لي رسولُ الله ﷺ : يا جابر، مالي أراك منكسرًا ؟ قال: قلت : يا رسولَ الله ، أُستشهد أبي وترك عيالاً ودينًا ، قال: أفلا أُبشركَ بما لقي اللهُ به أباك ؟ فقال : بلى يا رسول الله . قال: ما كلم الله أحداً قط إلا من وراءِ حجاب ، وكلَّم أباك كِفاحاً ، فقال : يا عبدي، تمن عليَّ أُعطك . قال : يا رب ، تُحييني فأُقتلُ فيك ثانيةً ، فقال الربُ سبحانه : إنَّه سبق مني أنَّهم إليها لا يرجعون ، قال : يا رب ، فأبلغ من ورائي ، قال تعالى : وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (رواه الترمذي) .

لقيه كِفاحاً : أي مُواجهةً .

ثباتُ الرسولِ ﷺ بعدَ تغيرِ سيرِ المعركة

نادى الرسول ﷺ بأعلى صوتِه لاستعادةِ الموقف من جديد ، فقال : إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ .

قاتلت الفرقةُ التي مع النبي ﷺ قتالاً شديداً ، وبدأ النبيُ يشجعهم ويقول : مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟ وتقدم عُتبةُ بن أبي وقاص (أخو سعد بن أبي وقاص) يقذف بالحجارةِ وجهَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتفجرت الدماءُ من وجهه ﷺ .

وجاء عبدُ الله بن شهاب أحد المشركين وشجَّ النبي شجةً منكرةً في رأسه .

وجاء عبد الله بن قمُئة وضرب الرسولَ ﷺ في كتفه ضربةً ظل يشتكي منها شهرًا كاملاً ، ثم ضرب النبي ﷺ في وجهه ، فدخلتْ حلقتان من المِغْفَر التي كان يلبسها النبي ﷺ في وجنته ، وهو يقول : خُذها وأنا ابن قمُئة. فقال له النبي ﷺ : أَقْمَأَكَ اللَّهُ ، أي أهلكك الله . وقد وقع هذا الرجل من فوق جبلٍ وقُتِلَ بعد ذلك .

المِغفر : حِلَقٌ تُنسج من الدروعِ على قدر الرأس ، يُلبس تحت القُلنسوة .

وكان ﷺ يقول : كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا رَأْسَ نَبِيِّهِمْ . فأنزلَ اللهُ تعالى : لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ .

العظاتُ والعبرُ

(1) أثرُ المعصيةِ والفشلِ والتنازعِ في تخلفِ النصرِ عن الأمةِ ، فبسبب معصية واحدة خالف فيها الرماة أمرَ النبي ﷺ ، وبسببِ الطمع في الغنائم ، ذهبَ النصر عن المسلمين بعد أنْ انعقدت أسبابُه ، ولاحت بوادرُه .

فكيف ترجو أمةٌ عصت ربَها، وخالفت أمرَ نبيها، وتفرقت كلمتُها أنْ يتنزلَ عليها نصرُ الله وتمكينه؟ فالمستحقُ لنصرِ الله تعالى هو من يقيمُ دينه ، وينصرُ شريعته ، ويلتزمُ طاعته ؛ ويباعدُ عن معصيته، فمن حقَّقَ ذلك نصرَه اللهُ تعالى ، وقد جعل الله نعالى في الكون سُنناً لا تُحابي ولا تُجاملُ أحداً من الناسِ كائناً من كان .

وكم تحتاجُ الأمة المسْلِمَة في هذا العصر الذي تكالبت عليها المِحن ، واجتمع الشرُ كلُّه من كفارٍ ومنافقين ؛ لإنهاءِ حياتِها بإقصاءِ دينِها ، وفرضِ الكُفرِ عليها ، تحتاجُ إلى صدقِ التوجهِ إلى الله تعالى وتركِ المعاصي ، والاجتهادِ في الطاعات ، والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوةِ إلى اللهِ تعالى حتى لا نكونُ نحنُ سبباً في تخلفِ نصرِ اللهِ تعالى عن الأمةِ المسلمة ، فمنْ يعاهدُ على ذلك ؟!

(2) خطورةُ إيثارِ الدنيا على الآخرةِ ، وأنَّ ذلك مما يُفقدُ الأمة عون الله ونصره . قال ابن مسعود ﷺ : ما كنتُ أرى أحداً من أصحابِ رسول الله ﷺ يريدُ الدنيا حتى نزلَ فينا يوم أُحد { منكم من يريدُ الدنيا ومنكم من يريدُ الآخرة } . وفي ذلك درسٌ عظيمٌ يُبيّن أنَّ حبَ الدنيا والتعلقَ بها قد يتسللُ إلى قلوبِ أهلِ الإيمانِ والصلاح ، وربما خفيَ عليهم ذلك ، فآثروها على ما عندِ الله ، مما يوجبُ على المرءِ أنْ يتفقدَ نفسَه دائماً .

(3) ثباتُ الرسولِ ﷺ والصحابة ﷺ عند المحنِ والشدائد ، بل وثباتُ النساء أيضاً .

وقد كان دعاءُ المسلمين دائماً (وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) .

(4) يجب ألا نغفلَ قط عن أنَّ القاءَ الرعبِ في قلوبِ الكفارِ هو من جنودِ اللهِ تعالى : (سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) .

(5) المنزلةُ العظيمةُ التي نالها صحابةُ رسولِ الله ﷺ عندما يُنزَّلُ عليهم النعاسُ أو تُقاتِلُ الملائكةُ معهم ، أو تُغسّلُ الجُنبَ منهم أو تُظلُّ بأجنحتِها شهيداً منهم ، فمنْ ينالُ هذا الشرفُ العظيم ؟

ثباتُ الصحابةِ بعدَ تغيرِ سيرِ المعركة

(1) قاتلَ عمارة بن يزيد بن السكن ﷺ ، قتالاً شديدًا عنيفًا حتى أُصيب ، وسقط على الأرض ، واقترب من النبي ﷺ حتى وضع وجهَهُ على قدم النبي ﷺ ، فاستُشهدَ ووجهه ملتصقٌ بقدمِ الحبيب، وقال ﷺ : مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا (رواه مسلم) .

(2) قام سعد بن أبي وقاص ﷺ برمي المشركين بسهامه ، وكان ﷺ معجباً بأداءِ سعد ، فقال له: ارْمِ سَعْدُ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي (متفق عليه) . وهو الوحيدُ الذي جمع له النبي ﷺ أبويه ، وكان يفتخرُ بها بعد ذلك .

(3) حاربَ طلحةُ بن عبيد الله ﷺ حرباً ضروساً في هذا اليوم ، قاتلَ من كل مكان حول النبي ﷺ ، حتى وصلت جروحُه عدداً كبيراً ، ورغم كلِّ هذه الجروح ظل يُقاتل . وجاء سهمٌ من بعيد كاد يصيبُ النبي ﷺ ، فوضعَ يده أمامَ السهم فوقع السهمُ في يدِه ، وأنقذ الرسول ﷺ ، وشُلّت يدُ طلحة من ذلك السهم . ولما رأى النبيُ ﷺ طلحة يقاتل رغم كثرة الجراح التي ألمت به ، قال : دُونَكُمْ أَخَاكُمْ ، فَقَدْ أَوْجَبَ (قد فعل ما يجبُ أنْ يفعل) ، وسقط طلحةُ من الإصاباتِ الكثيرة التي ألمتْ به .

(4) وصلَ بعضُ الصحابة إلى النبي ﷺ الذي كان مُحاصراً :

وجد أبو بكر الصديق أنَّ حلقاتَ المِغْفَر في وجه النبي ﷺ ، فذهب لينزعَها ، فقال له أبو عبيدة : نشدتك بالله يا أبا بكر إلاَّ تركتني . وبدأ يجذبُ أبو عبيدة حلقاتِ المِغفر بأسنانه من وجه النبي ﷺ بخفة شديدة ؛ لِئلا يؤذي النبي ﷺ ، وبخروجِ حلقةِ المِغفر الأولى سقطت سِنٌّ من أسنانِ أبي عبيدة بن الجراح ، ولما جذبَ أبو عبيدة الحلقة الثانية سقطت سنٌّ أخرى من أسنانِه .

وكان أبو طلحة الأنصاري ﷺ يضعُ نفسه أمامَ الرسول ﷺ ليحميَه من سهامِ المشركين ، وكان الرسولُ ﷺ إذا أرادَ أن يرمي بسهمٍ أشرفَ (عَلَا) فوقَ رأسِ أبي طلحة ، فكان يقول له : بأبي أنت وأمي ، لا تُشرِفُ يا رسولَ الله ؛ فيصيبُك سهمٌ من سهامِ القوم ، نَحْرِي دون نَحْرِك .

وكانت أمُ عمارة ﷺ تقاتلُ هي وزوجها وابنها حولَ النبي ﷺ ، وكانت تقاتلُ عن يمين النبي وعن شماله ، وكان يقول: "مَا نَظَرْتُ يَمِينِي وَلاَ يَسَارِي وَلاَ أَمَامِي وَلاَ خَلْفِي إِلاَّ وَجَدْتُ أُمَّ عِمَارَةَ تُقَاتِلُ

عَنِّي بِسَيْفِهَا". نظر إليها النبي ﷺ نظرةَ المعجب من قتالِ هذه المرأة ، فشاهدته أم عِمارة رضي الله عنها فقالت: يا رسولَ الله ، ادعُ الله أنْ نكون معكَ في الجنة، فقال ﷺ : "أَنْتُمْ مَعِي فِي الْجَنَّةِ".

وجاء حاطبُ بن أبي بلتعة رضي الله عنه وقتلَ عُتبة بن أبي وقاص الذي كان يرضخُ وجهَ النبي ﷺ بالحجارة.

قاتلَ عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه قتالاً شديدًا حتى تحطمت أسنانه ، وأُصيبَ إصابةً بالغةً في جسده، كانت سببًا في إصابته بالعرجِ الدائمِ بعد ذلك .

لما وقع الرسول ﷺ في حفرةٍ من الحفرِ التي حفرها المشركون ككمينٍ للمسلمين ، ورأى أبو دجانة رضي الله عنه السهامَ تأتي إلى النبي ﷺ من كُلِ مكان ، فألقى بنفسِه على النبي ﷺ وسدَّ الحفرة بجسدِه ليتلقى السهامَ في ظهره .

وتقدم مصعبُ بن عمير رضي الله عنه وهو يحملُ رايةَ المهاجرين ، وقاتل حول النبي قتالاً شديدًا ، فقُطعت يمينه ، فحملَ الراية بشماله ، فقُطعت شماله ، فبركَ على الرايةِ وهو قابضٌ عليها بعضديه ، وجاءَ المشركون من خلفِه وقتلُوه .

إشاعةُ مقتل النبي وأثرُها على المسلمين

لما قتلَ ابن قَمُئة مصعبَ بن عمير رضي الله عنه وكان شديدُ الشبه بالرسولِ ﷺ ، فقال: قتلتُ مُحَّداً .

وانتشر الخبر في أرض المعركة بكاملها ، وكان له أثرٌ بالغٌ على المسلمين :

أولاً : القعودُ عن القتالِ من بعضِ المسلمين ، وثباتُ البعضِ الآخر :

أُحبط كثيرٌ من المسلمين في أرضِ القتالِ ، ووصل الإحباطُ بالبعض أنْ قعدَ عن الجهاد ، والقتالُ من حوله ، وهو لا يرفعُ سيفَه ليدافعَ حتى عن نفسِه .

ثابت بن الدَّحْدَاحرضي الله عنه : لما رأى اليأسَ والإحباطَ بلغَ من المسلمين مبلغاً عظيماً حتى أقعدهم عن الجهاد ، فقال : إن كان محمدٌ قد قُتل ، فإنَّ الله حيٌ لا يموت ، ثم قاتلَ حتى أُستُشهد.

أنسُ بن النضررضي الله عنه : لما رأى المسلمين وهم جلوسٌ في أرضِ القتال ، وقد افتقدوا أيَّ روحٍ للقتال وأي حميةٍ للمقاومة ، فقال لهم : ماذا تنتظرون ؟ قالوا : قُتل النبيُ . فقال لهم : قوموا فمُوتوا على ما ماتَ عليه ؛ إنْ كان محمدٌ قد قُتل فإنَّ اللهَ حيٌ لا يموت . ثم قال للمسلمين القاعدين عن القتال :

اللهم إني أعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المسلمين) ، وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء(يعني المشركين) ، ثم تقدمَ ليقاتلَ المشركين ، فلقيه سعد بن معاذ ، فقال له سعدُ : أين يا أبا عمر؟ فقال أنسٌ : واهاً لريحِ الجنة يا سعد ، إني أجدُها دون أُحُد . فتقدمَ وقاتل المشركين قتالاً ضاريًا حتى قُتل شهيداً ، وقد طُعِنَ أكثرَ من ثمانينَ طعنةً في جسده ، وما عرفته إلا أختُه من علامةٍ في بنانِه .

ثانياً : الفرارُ من أرضِ المعركةِ من بعض المسلمين وثباتُ البعضِ الآخر:

بعضُ المسلمين فرَّ وهو يصعدُ إلى الجبل ، والبعض الآخر فرَّ إلى المدينة ، والرسولُ ﷺ ينادي عليهم وهم يسمعون ولا يُلبون . ونزل فيهم قولُه تعالى (إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ) .

اكتشفَ كعبُ بن مالك رضي الله عنهأنَّ النبي ﷺ حيٌ ولم يُقتل ، فنادى في المسلمين : يا معشرَ المسلمين أبشروا ، هذا رسولُ الله . ففاء المسلمون إلى النبي ﷺ وأحاطوا به .

العظاتُ والعبر

(1) إكرامُ الله بعضِ عبادِه بنيلِ الشهادة ، التي هي من أعلى المراتبِ والدرجات ، فأراد عز وجل أن يتخذَ من عبادِه شُهداء تُراق دماؤهم في سبيله ، ويؤثرون محبته ورضاه على نفوسِهم { ويتخذَ منكم شهداء } .

(2) جرتْ سنةُ اللهِ في رُسلِه وأتباعهم أنْ تكونَ الحربُ سجالاً بينهم وبين أعدائِهم ، فيَغلِبون مرة ويُغلبون أُخرى، ثم تكونُ لهم العاقبةُ في النهاية .

(3) المطلوبُ من المسلمِ الأخذُ بأسبابِ النصرِ المادية والمعنوية مع التوكلِ على اللهِ والاعتمادِ عليه .

(4) من حِكمِ الله تعالى: تمحيصُ المؤمنين وتمييزُهم عن المنافقين، وكذلك محقُ الكافرين باستحقاقِهم غضبِ الله وعقابِه .

(5) ثباتُ كثيرٍ من الصحابةِ ﷺ حول الرسول ﷺ ، مع وجود بعضِ الأخطاء من الصحابة ﷺ: كمُخالفةِ الرماة أو القعودِ عن القتالِ أو الفرارِ من المعركة أو الطمعِ في الغنائم .

(6) قاتلت أمُّ عمارة هي وزوجها وابنها حولَ النبي ﷺ وكان طلبُها الوحيد أنْ تكونَ مع النبي ﷺ في الجنةِ ، وهي امرأةٌ يخجلُ منها الرجال !!

(7) القتالُ في سبيلِ اللهِ لا النبي ﷺ ولا المسلمين .

صعودُ النبيُ ﷺ لجبلِ أُحد

قاد الرسولُ ﷺ المسلمين إلى الانسحابِ المنظمِ في اتجاهِ الجبل .

رأى أُبيّ بن خلف النبيَ ﷺ وهو يصعدُ فوقَ الجبلِ ، فجاءَ من بعيدٍ وهو يقول : لا نجوتُ إن نجا . ولما دنا ، تناول النبي ﷺ حربته وضربه ضربة خدشت فيه خدشاً بسيطًا جدًّا ، وصرخ وهو يقولُ : قتلني واللهِ مُحَمَّد . واستعجب المشركون وقالوا : هو خدشٌ بسيط ، فقال : إنَّه قد قال لي بمكةٍ : أنا أقتلُك . ولقد ماتَ أُبيّ بن خلف ، والمشركون قافلون إلى مكةِ من جرَّاءِ الخدشِ الذي أصابَه من رسولِ الله ﷺ .

اعترضتْ النبيُ صخرةً كبيرة لم يستطع تسلقها لكثرة إصاباته ، فجاء طلحة بن عبيد الله رغم الإصابات التي في جسده ، إلا أنه جلسَ ليصعدَ النبي ﷺ على ظهره ، فقال: أَوْجَبَ طَلْحَةُ (رواه الترمذي وحسَّنه الألباني) . وكان من العشرةِ المبشرين بالجنةِ ، وكان إذا ذُكر أمامَ أبي بكر رضي الله عنه يومَ أُحد قال : هذا اليوم كانَ كلُّه لطلحة رضي الله عنه .

ورأى خالدُ بن الوليد وأبو سفيان المسلمين يصعدون الجبل ، فتقدَّم لمنعِهم وإكمال القتال، فانتدب النبي ﷺ فرقةً على رأسِهم عمر بن الخطاب لردِّ المشركين عن صعود الجبل ، فقاتلوا قتالاً شديداً ، واستطاعوا أن يردوا المشركين بالفعلِ عن صعودِ الجبل ، واختفى المسلمون بعد ذلك في داخل الجبل.

وبعد صعودِ النبي ﷺ ، كانت الدماءُ ما زالت تتفجرُ من رأسِه الشريف ، وحاول الصحابةُ أنْ يمنعوا سيلان الدماء ، وصبوا على رأسِهِ الماء ، وكان لا يزيدُها إلا نزيفًا ، وكانت السيدة فاطمة بنت النبي ﷺ موجودة في غزوة أُحُد ، فأتت بحصيرٍ وأحرقتها ودفعتها في رأسِ النبي ﷺ حتى توقفَ النزيف .

وكان المسلمون يقاتلون من الصباحِ إلى الظهيرة ، وجاء وقتُ صلاةِ الظهر، فجَمع النبي صلى الله عليه وسلم المسلمون للصلاةِ ولم يستطعْ أن يقف من شدةِ الإصابات ، فصلَّى قاعداً وصلَّى المسلمون قعوداً بقعودِه .

موقفُ المشركين بعد غزوةِ أُحد

أولاً : التمثيلُ بجثثِ المسلمين

(1) بدأت النساء في تقطيع آذانِ المسلمين وأنوفِهم ، وصنعوا منها خلاخيل وقلائد ليلبسوها .

(2) ذهبتْ هندُ بنت عتبة زوجة أبي سفيان إلى حمزةِ عمِّ النبي ﷺ ، وشقت بطنَه وأخرجت قطعة من كبدِه ، وحاولت أنْ تأكلَها ولم تستطعْ فلفظتها من فمِها ، وذلك لقتلِ أربعةٍ من أقاربِها في غزوة بدر .

ثانياً : الشماتةُ بالمسلمين

وجاء أبو سفيان نحو الجبل ونادى : أفيكُم مُحَمَّد ؟ فأشار النبي ﷺ إلى أصحابه رضي الله عنهم لا تُجيبوه لئلا يعرِف مكانَهم . فقال: أفيكم ابن أبي قحافة ؟ (يقصد أبا بكر الصديق) فأشار النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ، فلم يُجبه أحد . فقال : أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فأشار النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه ، فسَعِد أبو سفيان ، وقال : أمَّا هؤلاء الثلاثة فقد كُفيتموهم ، ولو كانوا أحياءً لأجابوا .

فلم يملك عمر رضي الله عنه بن الخطاب نفسه ، وقام فقال: أيْ عدوَ الله ، إن الذين ذكرتَ هُم أحياء، وقد أبقى اللهُ ما يسوءُك .

قال: أُعْلُ هُبَلْ . وسكت الصحابةُ رضي الله عنهم ، فقال النبي ﷺ : أَلاَ تُجِيبُونَه ؟

فقالوا: ما نقول ؟

فقال: قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ .

فقال أبو سفيان : لنا العُزى ولا عزَّى لكم .

فقال النبي ﷺ : أَلاَ تُجِيبُونَهُ ؟ فقالوا : ما نقول يا رسول الله ؟ فقال: قُولُوا : اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ .

فقال أبو سفيان : يومٌ بيومِ بدر، والحرب سجال .

فأجاب عمر رضي الله عنه : لا سواء ، قتلانا في الجنةِ ، وقتلاكُم في النار .

وانسحب أبو سفيان ولم يفكرْ في صعودِ الجبلِ مرة أخرى ، واكتفى بما فعل وعاد بالمشركين تجاهِ مكة ، وانتهتْ معركةُ أُحُد بذلك .

موقفُ الرسولِ ﷺ بعد غزوةِ أحد

نزل النبي ﷺ من فوق الجبل ليتفقدَ الشهداء ، ونظر إليهم وقال : اللَّهُمَّ إِنِّي شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ ، إِنَّهُ مَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللهِ إِلاَّ وَيَبْعَثُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ .

وصلى النبي ﷺ على كل الشهداء رضي الله عنهم ، وأمر بدفنِهم في أرضِ أُحد وألاَّ يغسلوا وألاَّ يُكفنوا ، بل يُدفنوا في ثيابهم بعد أن تُنزعَ الدروعُ والجلودُ من على أجسادِهم .

ولما رأى ما فُعِل بحمزة رضي الله عنه ، اشتد حزنه ، وبكى بكاءً شديداً ، وانتحب حتى نَشَع من البكاءِ (النشع : الشهيق). ويقول ابنُ مسعود رضي الله عنه: ما رأينا النبي ﷺ باكياً قَطُّ أشدَّ من بكائِه على حمزةٍ بن عبد المطلب رضي الله عنه .

وكفن مُصعب بن عمير رضي الله عنه في بُردةٍ إنْ غُطِّي رأسه بدتْ رجلاه ، وإن غطِّي رجلاه بدا رأسه .

وذكروا ذلك للرسول ﷺ ، فقال : غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ ، وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنَ الإِذْخَرِ .

البُردةُ : كساءٌ يُلتحف به ـ الإذخر : نوع من الأشجار والنباتات .

موقفُ النبيُ ﷺ من الله تعالى

ورغم ما ألَمَّ بالمسلمين ، جمع النبي ﷺ من معه وقال : اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِي عَلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ . فصارَ المسلمون خلفَه صفوفًا ، فوقفَ يدعو والمسلمون يؤمِّنون على دعائه . وكان في هذا الدعاء عدة ومضات نذكرُ منها :

(اللَّهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ) .

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لاَ يَحُولُ وَلاَ يَزُولُ)

(اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ اللَّهُمَّ قَاتِلِ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ) .

رجوعُ النبيِ ﷺ إلى المدينة

رجع النبي ﷺ إلى المدينةِ المنورة واستُقْبل في حزن شديد جداً ، فكلُ بيتٍ تقريباً فيه شهيد .

مرت به امرأة من بني دِينار، وهذه المرأة أُصيب زوجها وأخوها وأبوها في أُحُدٍ ، نُعوا إليها جميعًا ، فقالت : ما فعل رسولُ الله ؟ فقالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمدِ الله كما تُحبين . قالت : أرونيه حتى أنظرَ إليه ، فأشاروا إليه ، فقالت : كلُ مصيبةٍ بعدكَ جَلَلٌ (أي صغيرة) .

جلل : من الأضادِ ، يطلقُ على العظيمِ والصغيرِ .

العظاتُ والعبر

(1) موقف أُبي بن خلف يبين رُعبَ المشركين من رسولِ الله ﷺ ، وتصديقَهم لقولِه .

(2) النبي ﷺ ثبتَ ثبات الجبالِ رغم إصابته البالغة .

(3) الصحابةُ رضي الله عنهم جيلٌ فريدٌ حقاً ؛ قمةٌ في البذلِ والتضحيةِ والفداءِ . وكان حبُ النبيِ صلى الله عليه وسلم هو السِمةُ الرئيسية فيهم ، رجالاً ونساءً ، وكانوا يُفضِّلونه على كلِ شيءٍ في حياتهم ، فمن مِنا مثلهم ؟

(2) الانتباهُ إلى الغلِ والحقدِ في قلوبِ المشركين : تمثيلٌ بالجثث ، وشماتُةٌ في المسلمين ، فتدبروا ذلك جيداً .

(3) حرصُ المسلمين على الصلاة ، وهم في أحلكِ اللحظات ، فأين نحنُ منهم ؟

(4) تفقدُ القيادةِ لجثثِ الشهداء ، والصلاةُ عليهم ، ودفنُهم في ثيابِهم بدون غسلٍ ولاكفن ، وهذه سُنة النبي ﷺ .

(5) دعاءُ النبي ﷺ لربه في تلك اللحظاتِ العصيبة :

الثناءُ على اللهِ عز وجل بعد النهاية المؤلِمة ، إقرارٌ تامٌ بالربوبية ، ورضاءٌ تامٌ بقدرِه الذي لايُرد .

تذكيرُ المسلمين بأنَّ كلَّ شيءٍ بيدِ اللهِ تعالى . فالله سبحانه قادرٌ على منعِ الهزيمة ، لكنه أوقعَ المصيبة لحِكَمٍ كثيرةٍ يعلمُها (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَقَى الجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ) . وتذكيرُ المسلمين أيضاً بتعظيمِ الآخرة ، فحتى ولو ضاعتْ كلُّ الدنيا ، وأخذنا الجنةُ فنحن الفائزون (أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ) .

الهزيمةُ من المشركين ـ رغم الألم والابتلاء والدروسُ المستفادةُ منه ـ ليست هي المشكلة الأولى عند المسلمين ، إنَّما المشكلة الأولى هي وجودُ الكفارِ والمشركين الذين يُكذِّبون الرسلَ ويصدُّون عنْ سبيل الله. ولذلك فالدعاءُ على الكفارِ والمشركين في قلبِ المِحنة يُعلمنا وضوحَ الرؤيةِ للعدوِ الأولِ للمسلمين .

غزوةُ الخندق

ذهب زعماءُ اليهود في خيبرٍ إلى قريشٍ وغطفان وكثيرٍ من قبائل العرب يُحرضونهم على غزو المسلمين في المدينةِ واستئصالِهم ، ووعدوهم بالمساعدةِ والمدد . فاستجابِ لهم الكثيرُ حتى جمعوا عشرةَ الاف مُقاتل ، وتحركوا تجاه المدينةِ المنورة .

العيونُ والاستخبارات في المدينة ، التي أعدها رسولُ الله ﷺ علمتْ بخبرِ تحركِ هذه القبائل ، وأعلمتَه بذلك (وهذا هام حتى لايُفاجأ المسلمون بجيشِ العدو على أبوابِ المدينة) .

عقدَ الرسولُ ﷺ مجلساً للشورى ، واتفقوا على قرارِ سلمان الفارسي بحفرِ خندقٍ حولَ المدينةِ من الجهة الشمالية ، وهو المكانُ الذي يمكن أن يأتيَ منه الجيشُ المهاجم . وبدأ تنفيذُ الخطةِ رغم صعوبتِها .

وصلَ في شوال عام 5هـ إلى حدودِ المدينةِ المنورةِ عشرةَ آلاف مقاتل مشرك من قريش وغطفان وغيرهم من قبائل العرب ومن زعماءِ اليهود .

جمعَ رسول الله ﷺ ثلاثةَ آلاف مقاتل من الصحابةِ ψ ، ونظَّم نقاطَ الحراسةِ للخندق ، وفرق للقتال ، وكتائب للمقاومة ، حتى يمنعَ المشركين من تخطي الخندقِ تحتَ أي ظرف .

وكان وقعُ المفاجأةِ مهولاً على المشركين ، لأنَّها مكيدةٌ ما عرفها العربُ من قبل في فنونِ القتال .

بدأ المسلمون في رشقِ المشركين بالنبالِ لكي يمنعوهم من عبورِ الخندقِ أو ردمِه ، وحاولَ المشركون بكلِ ضراوة أنْ يقتحموا الخندق .

نجح بعضُ المشركين في العبور من مكانٍ ضيق في الخندق بفرقةٍ على رأسها بطلُهم عمرو بن عبد ود، ولكنْ تصدى لهم المسلمون ، وحدثت مبارزة رهيبة بين عمرو بن عبد ود وعلي بن أبي طالب ؓ حتى قتله علي بن أبي طالب ، وهربَ بقيةُ رجاله ، وتكررت المحاولات كثيراً بلا جدوى .

تصدى أُسيد بن حضيرﷺ في كتيبةٍ من مائتي مسلم لفرقةِ فرسان خالد بن الوليد واستطاع أنْ يردَّهم مُنهزمين .

كان الصراعُ يستمر لفترات طويلة ، حتى أنَّ المسلمين لم يُصلوا العصرَ يوماً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : مَلأَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهَمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا ، كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ .

واستمر الحصارُ شهراً كاملاً ، وكان الموقفُ صعباً على المسلمين .

خيانةُ بني قريظة

لما فشلَ المشركون في اقتحامِ الخندق ، فكر أحدُ زعماءِ اليهود ، وكان مع المشركين ، وهو حُيي بن أخطب ، فلم يجدْ له مخرجاً إلاَّ في يهودِ بني قريظة . وكان بنو قريظة في الجنوب الشرقي للمدينة ، فلو خالفوا العهدَ مع رسولِ الله ﷺ ، وفتحوا الباب من جهتِهم لدخولِ المشركين المدينة ، وحاربوا مع المشركين أيضاً ، لتم استئصالُ المسلمين تماماً . وراقت تلك الفكرةُ للمشركين جداً ، وذهب حُيي بن أخطب لإقناع زعيم بني قريظة كعب بن أسد ، ومازال به حتى أقنعه .

وصل الخبرُ للرسولِ ﷺ ، وأرسلَ مجموعة من الصحابة للتأكدِ منه ، وقال لهم : انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمِ أَمْ لاَ ؟ فَإِنْ كَانَ حَقًّا فَالْحَنُوا لِي لَحْنًا أَعْرِفُهُ وَلاَ تَفُتُّوا فِي أَعْضَادِ النَّاسِ، وَإِنْ كَانُوا عَلَى الْوَفَاءِ فَاجْهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ . فتأكدَ الخبرُ ورجع الصحابةُ بسرعة إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا : عضل وقارة . أي غدرٌ كغدرِ عُضلٍ وقارة بالصحابةِ ﷺ عند ماءِ الرجيع.

انتشرَ خبرُ خيانةِ بني قريظة لتتم حالة الابتلاء والتمييز بين صفوفِ المؤمنين وصفوفِ المنافقين (مرحلة الزلزال). المنافقون يرون المشركين حول المدينةِ ، واليهود يتربصون بالداخل ، ولا أملَ مطلقًا في النجاةِ في نظرهِم . وكان أحدُهم يقول : كان محمدٌ يعدُنا أنْ نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر، وأحدُنا اليوم لا يأمنُ على نفسِه أنْ يذهبَ إلى الغائط . وبدأوا التسرب من الصفِّ .

محاولةُ الرسولِ لفكِ التحالف

فكَّرَ رسول الله ﷺ في فك التحالف (قريش وغطفان واليهود) من خلال الإغراء بالمال لزُعماءِ غطفان . فعرضَ عليهم إعطائِهم ثلث ثمار المدينة لسنةٍ كاملة على أنْ يعودوا ويتركوا حصار المدينة، بشرطِ قبولِ المسلمين لذلك .

اجتمع الرسولُ ﷺ مع سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضي الله عنهم، وعرض عليهما الاتفاق الذي وصل إليه مع زعماءِ غطفان .

قال سعد بن معاذ : يا رسولَ الله ؛ أمرًا تُحبه فنصنعه ، أمْ شيئًا أمركَ الله به لا بد لنا من العملِ به ، أم شيئًا تصنعُه لنا ؟

فقال لهم رسولُ الله ﷺ : "بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلاَّ لِأَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ" .

فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه : يا رسولَ الله ، قد كنَّا وهؤلاء مع الشرك باللهِ وعبادةِ الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أنْ يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قِرىً أو بيعًا أو فيضًا (القِرى : الضيافة / الفيضُ : الكثرةُ والزيادةُ) ، أفحيننا كرَّمنا الله بالإسلام ، وأعزنا بك وبه ، نعطيهُم أموالنا؟ ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهُم إلا السيف ، حتى يحكمَ اللهُ بيننا وبينهم . قال ﷺ : "أَنْتَ وَذَاكَ "، وتم رفضَ الاتفاق .

نهايةُ غزوةِ الأحزاب

وكان الرسول ﷺ يدعو : "اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ اهْزِمِ الْأَحْزَابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ". وجاء النصرُ بعد أن بذلَ المسلمون كل طاقتِهم ووسعِهم:

أولاً : موقفُ نعيم بن مسعود

جاء نعيمُ بن مسعود (وهو من قبيلة غطفان) إلى الرسولِ ﷺ يقول له : يا رسول الله ، إنِّي قد أسلمتُ وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمُرني ما شئت . فقال رسول الله ﷺ : إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا مَااسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ . ولم يأمرْه بشيءٍ يعمله .

فأعمل الوقيعةَ بين يهود بني قريظة وبين قريش وغطفان ، وهم يظنونه على الشرك .

فأخبرَ اليهودَ أنَّ قريشاً لو انهزموا لحقوا بأرضِهم وتركوكم لانتقامِ محمدٍ ، والحل هو هو ألا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن . وذهب إلى قريش وغطفان ، وقال لهم أنَّ اليهود ندموا على نقضِ العهد مع محمدٍ ، وراسلوه أنَّهم يأخذوا منكم رهائن يعطونها له ثم يوالونه عليكم ، فإنْ سألوكم رهائن فلا تُعطوهم .

فأرسلت قريش وغطفان لليهودِ تتطالبُهم بمناجزة (أي مقاتلة) مُحَمَّد ﷺ ، فطالبَهم اليهود برهائن ، فرفضوا ، ودبت الفرقةُ بين الفريقين ، وتفتت الأحزابُ .

ثانياً : إرسالُ الريحِ (إعصار)

بعث اللهُ تعالى ريحًا شديدةً وقاسية البرودة على معسكر الكافرين ، لم تترك لهم خيمةً إلا واقتلعتها ، ولم تترك قِدرًا إلا قلبته ، ولم تترك نارًا إلا أطفأتها ، ووصلت شدةُ الريح وخطورتها إلى الدرجة التي دفعتهم لأخذِ قرارِ العودةِ دون قتالٍ وفكِّ الحصار.

ثالثاً : قتالُ الملائكة. قاتلت مع المسلمين ، كما سيأتي الحديثُ عنها في غزوة بني قريظة .

والنتيجة : عزمَ المشركون على الرحيلِ وكفى اللهُ المؤمنين القتال ، وانهزمتْ الأحزاب .

العظاتُ والعبرُ

(1) رأيُ السعدين رضي الله عنهما كان حكيماً ، لأنَّ غطفان ستُحقق انتصاراً غيرَ مقبولٍ على الدولةِ الإسلامية ، وسيفتحُ هذا الباب الابتزاز المستمر للمدينةِ المنورة كلما احتاجوا إلى مال .

(2) الشورى أصلٌ من أصولِ الحُكمِ في الإسلام .

(3) الحرصُ على عدمِ نشرِ الأخبارِ التي تُسبب اليأسَ والإحباطَ للمسلمين .

(4) خروجُ المنافقين من الصفِ المسلمِ ضرورةٌ شرعية ، ومن مُبشراتِ النصر .

(5) الأمرُ من اللهِ أو رسولِه ﷺ لايُعرض للنقاشِ أصلاً ، ولا بد من السمعِ والطاعةِ ، أما إن كانَ رأيًا بشريًّا فيمكن حينئذٍ مناقشتُه ، وعرضُ الرأي فيه . واليومَ تُعرضُ أحكامُ اللهِ تعالى للنقاشِ في مجلسِ الآلهة (الشعب) !!!

(6) انتهتْ المعركةُ بالنصرَ ، فتمَّ فك الحصارُ دون قتالٍ حقيقي ، بإرادةِ اللهِ تعالى في الوقتِ المناسبِ وبالطريقةِ المناسبةِ . والمطلوبُ من المسلمِ هو الأخذُ بالأسبابِ فقط :

أخذُ قرارِ الجهاد / الثباتُ في أرضِ المعركة / الإعدادُ التامُ ... الخ .

(7) لم تأتِ الريحُ منذُ اليومِ الأولِ ، وإنما جاءت بعد شهرٍ كامل . لعلَّ اللهَ تعالى أراد أنْ يمتحنَ المؤمنين ، فيتميزَ الصادقُ من الكاذب .

(8) لم تُهلك الريحُ هؤلاء الكفار تماماً مثلما أهلكت عاداً وثموداً ، لعله سَبَقَ في علمِ الله تعالى أنَّ كثيرًا منهم سيُسلمون بعد ذلك ، ويتكونُ منهم جيشُ الإسلام .

غزوةُ بني قُرَيْظَةَ

رجعَ الرسولُ ﷺ من الخندقِ بعد غيابِ قُرابةَ الشهرِ، فإذا بجبريلِ عليه السلام قد جاءَ وقال له : قد وضعت السلاحَ ؟! والله ما وضعناه . أي: نحن الملائكة لم نضعْه بعد (الملائكةُ كانت تقاتلُ مع المسلمين) .

قال جبريل: اخْرُجْ إِلَيْهِمْ .

قال النبي : "فَأَيْنَ ؟"، فأشار إلى بني قُرَيْظَةَ . وفي رواية أنَّ جبريل عليه السلام قال : فَإِنِّي سَائِرٌ أَمَامَكَ أُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ ، وَأَقْذِفُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ .

أمرَ الرسولُ ﷺ المسلمين بالتوجه السريع إلى بني قريظة ، فقال لهم : لاَ يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ . وهكذا اجتمعَ الرسولُ والصحابةُ في ثلاثةِ آلافِ مُقاتل في حصار بني قُرَيْظَةَ ، واستمر الحصارُ خمساً وعشرين ليلة .

وفي نهايةِ ذلك الحصارِ قذفَ اللهُ الرعبَ في قلوبِ اليهود ، فاستسلموا وخضعوا لحكمِ رسولِ الله ﷺ مع أنهم كان بإمكانهم المطاولة في الحصارِ ، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بهم أنْ يُقيدوا . وجاءت الأوسُ (حلفاءُ بني قريظة في الجاهلية) إلى رسولِ الله ﷺ ، فقالوا: يا رسول الله ، قد فعلتَ في بني قَيْنُقَاعَ ما قد علمتَ ، وهم حلفاءُ إخوانُنا الخزرج ، وهؤلاء موالينا ، فأحسنْ فيهم (وكان الرسول ﷺ قَبِل من ابنِ سلول أن يفتديَ اليهود ، بشرط أنْ يتركوا المدينةَ المنورة بكاملِهم ، وقَبِلَ اليهودُ بذلك) .

فقال رسولُ ﷺ : "أَلاَ تَرْضَوْنَ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ؟" قالوا : بلى .

قال : فَذَاكَ إلى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ . قالوا : قد رضينا .

فأرسلَ رسولُ الله ﷺ في طلبِ سعدِ بن معاذ رضي الله عنه؛ لأنَّه كان في المدينةِ ، لإصابته البالغة التي تعرض لها في الأحزاب ، فجاءَ راكباً حماراً ، فالتف حوله الأوس ، وقالوا له : يا سعد ، أجمِلْ في مواليك ، فأحسنْ فيهم ؛ فإنَّ رسول الله ﷺ قد حكَّمك لتُحسنَ فيهم ، وهو ساكتٌ لا يرجعُ إليهم شيئاً ، فلما أكثروا عليه قال : لقد آن لسعدٍ ألاَّ تأخذهُ في اللهِ لومةَ لائم .

ولما انتهى سعدُ رضي الله عنه إلى النبي ﷺ ، قال للصحابةِ : قُومُوا إِلى سَيِّدِكُمْ .

فلما أنزلوه قالوا : يا سعد ، إنَّ هؤلاء قد نزلوا على حكمِك .

قال : وحكمي نافذٌ عليهم ؟ قالوا : نعم .

قال : وعلى المسلمين ؟ قالوا : نعم .

قال : وعلى من هاهنا ؟ وأعرض بوجهِه وأشار إلى ناحيةِ رسولِ اللهِ ﷺ إجلالاً له وتعظيمًا . قال: نَعَمْ ، وَعَلَيَّ .

قال : فإنِّي أحكمُ فيهم أنْ يُقتل الرجالُ ، وتُسبى الذريةُ ، وتُقسَّم الأموالُ .

فقال رسولُ الله ﷺ : لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ .

وبدأ المسلمون بتنفيذ حُكم سعدٍ ، فجمعوا الرجال ، فقتلوهم (أربعمائة رجل ، وفي رواية سبعمائة)، وقُتلَ مع هؤلاء شيطانُ بني النضير، وأحدُ أكابرِ مجرمي معركة الأحزاب حُيي بن أخطب والد السيدة صفية أم المؤمنين رضي الله عنها ، وكان قد دخل مع بني قريظة في حصنِهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ؛ وفاءً لكعبِ بن أسدٍ بما كان عاهده عليه حينما جاءَ يُثيرُه على الغدرِ والخيانةِ أيامَ غزوةِ الأحزاب .

ابتلاءُ سعدِ بن معاذ رضي الله عنه

لقد أُصيبَ سعد بن معاذ رضي الله عنه في غزوةِ الأحزاب ، أصابَه ابن العَرْقَة بسهمٍ فقطع أكحله ، (الأكحل : عرق في وسط الذراع يكثر فصده) وكانت الإصابةُ شديدةً وخطيرةً .

وكان في السابعةِ والثلاثين من عمره ، فقال يدعو ربه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدًا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُجَاهِدُهُمْ فِيكِ مِنْ قَوْمٍ كَذَّبُوا رَسُولَكَ وَأَخْرَجُوهُ ، اللَّهُمَّ فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّكَ قَدْ وَضَعْتَ الْحَرْبَ بَيْنَنَا

وَبَيْنَهُمْ فَإِنْ كَانَ بَقِيَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْءٌ، فَأَبْقِنِي لَهُمْ حَتَّى أُجَاهِدَهُمْ فِيكِ ، وَإِنْ كُنْتَ وَضَعْتَ الْحَرْبَ فَافْجُرْهَا وَاجْعَلْ مَوْتَتِي فِيهَا ، وَلاَ تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ أهـ.

بعد ما انتهت قصةُ بني قريظة استجاب اللهُ لدعوةِ العبدِ الصالحِ سعد بن معاذ ، فانفجر جُرحه ، وسالتْ منه الدماءُ حتى خرجت من خارجِ خيمتِه ، ليلقى ربَه سعيداً راضياً ، رحمةُ الله تعالى .

العظاتُ والعبرُ

(1) سعدُ بن معاذ ﷺ (37 سنة) يرجو اللهُ ألا يموت حتى يُجهز على قريشٍ ، ويتمنى ألاَّ يلتئم جُرحه لكي يموتَ شهيدًا . ولا ينسى غدر بني قريظة حتى في لحظاتِه الأخيرة . فأينَ أمثالُ سعد ؟

(2) انتقل الصحابةُ ﷺ بعد شهرٍ صعبٍ من الحربِ والحصارِ، إلى حصار بني قريظة قُرابة الشهر (جهدٌ عظيمٌ ، ونحنُ لانقدرُ للصحابةِ قدرَهُم) .

(3) الطائفةُ كلُها تُعاملُ مُعاملةٌ واحدةٌ ، وهو القتلُ لجريمةِ الغدر ، إلا من ثبتَ خروجُه عنهم بيقين، فمن ثبتَ عدمَ غدره لم يُقتل (كرجلٍ اسمُه عمرو بن سعدي) .

(4) مالاقاه اليهودُ هو الجزاءُ العادلُ للخيانةِ والغدرِ ، وهذا ما كانوا يريدون فِعلَه بالمؤمنين منذُ أيامٍ قليلة ، مع كونِهم كانوا على العهدِ ، والجزاءُ من جنسِ العملِ ولا يحيقُ المكرُ السيءُ إلا بأهلِه .

غزوةُ الحديبية

الرؤيا النَبوية

كان النبيُ ﷺ قد رأى في المنامِ أنَّه دخل مكة مع المسلمين مُحرِمًا مُعتمِرًا ، فبشَّر بها أصحابَه ، وفرحوا بها فرحًا شديدًا ، فخرجَ النبي ﷺ قاصدًا مكة في ذي القعدة من السُنَّة السادسة للهجرة .

استنفر ﷺ منْ حولَه من أهلِ البوادي من الأعرابِ ليخرجوا معه ، وهو يخشى أنْ تعرِض قريش له بحربٍ أو يصدُّوه عن البيتِ ، فأبطأ عليه كثيرٌ من الأعرابِ ، وتخاذلوا عنه وتعلَّلوا بشتَّى الأعذارِ الكاذبةِ وهابوا قريشاً ، وتعلَّلوا بالشغلِ بأهاليهم وأموالِهم . ففضحهم اللهُ تعالى (سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ ... الآية) .

وأحرمَ النبي ﷺ بالعُمرةِ ، ليعلَمَ الناسُ أنَّه خرج إلى مكةِ زائرًا للبيت ومُعظمًا له ، وساقَ معهُ الهَدْي سبعين بدنة (البَدَنَةُ : ناقة أو بقرة تُهدى إلى مكة) ، ومضى إلى مكةٍ ومعه ألف وأربعمائة من أصحابِه ﵃ ، وهم يشعرون بالعزةِ والقوةِ .

شاع بين العرب نبأ خروجِ النبي ﷺ للعُمرةِ ، وعلِمت به قريش وفزِعتْ من ذلك ، ورأتْ أنَّ في ذلك تحدياً سافرًا لها ، حين يدخلُ من تحاربه إلى بلدِها ويتمتعُ بحمايتِها له في الحرمِ ، فعزمتْ على صدِّ الرسولِ ﷺ وصحبِه عن البيت ، وخرجتْ عن بَكرةِ أبيها واستنفرت حُلفاءَها من الأحابيش ، وقدَّمت خيلها بقيادةِ خالد بن الوليد إلى كَراعِ الغَميم (موضع بين مكة والمدينة) لمنعِ الرسول ﷺ والمسلمين من دخولِ مكةٍ بقوةِ السلاح .

لما أحرمَ النبي ﷺ بالعمرةِ ، بعث عيناً (جاسوساً) له ليستطلعَ حالَ قريش ، وسار النبي ﷺ حتى وصلَ موضعاً قريباً من عُسْفان ، فأتاه عينه وقال : إنَّ قريشاً جمعوا لك جموعاً وهم مُقاتلوك وصادوك عن البيتِ ومانعوك ، فأبدى الرسولُ ﷺ استعداده للمواجهة .

شاور النبي ﷺ أصحابه ﵃ : هل يُقاتلهم ؟ فقال أبو بكر ﵁ : يا رسولَ الله خرجتَ عامدًا لهذا البيت لا تريد قتل أحدٍ ، ولا حرب أحدٍ ، فتوجه له ، فمن صدّنا عنه قاتلناه . فقال صلى الله عليه وسلم : "امضوا على اسمِ الله ".

أراد النبي ﷺ أن يُثبت لقريشٍ أنَّه لم يقدمْ لحربِهم ، فعدلَ عن طريقِ مواجهتِهم ، ليعرفوا حقيقةَ قصدِه في الموادعةِ وحقنِ الدماء ، فسلكَ طريقًا وعرًا بين الشِّعاب ، أفضى بجيشِ المسلمين إلى الحديبيةِ (قرية غرب مكة) .

رأى خالد بن الوليد ﵁ ـ وكان لم يُسلِم بعد ـ غبارَ الجيش فانطلق لينذرَ قريشاً باقترابِ المسلمين مِنْ مكة.

سار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنيةِ التي يهبطُ عليهم منها ، بركتْ به راحلته ، فقال الناس : حَلْ حَلْ ، فألحَّت (حَلْ حَلْ : زجر للناقة إذا حثثتُها على السير ـ وألحَّت : أي لزمتْ مكانها وتمادتْ على عدم القيام) . قالوا : خلأت القصواء، خلأت القصواء (خلأت الناقة أي حزنَت من غيرِ علةٍ ـ والقصواء: اسم ناقة النبي ﷺ) فقال النبي ﷺ : ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخُلُقٍ ، لكن

حبسَها حابسُ الفيل (أي حبسها اللهُ تعالى عن دخولِ مكة ، كما حبسَ الفيلَ عن دخولها) إنهم لو دخلوها على تلك الهيئة وصدَّتهم قريشُ عن ذلك ، لوقع بينهم ما يُفضي إلى سفكِ الدماءِ ونهبِ الأموالِ ، ولكن سبق في علمِ اللهِ أنَّه يدخلُ في الإسلامِ منهم جمعٌ عظيم .

هنا ظهرَ حرصُ رسولِ الله ﷺ على تعظيمِ حُرمات الله ، وتركِ القتالِ في الحَرَم ، وحقن الدماء أنْ تُسفكَ في الشهر الحرام ، فأعلن استعدادَه للتفاوض مع قريش ، والموافقة في سبيلِ ذلك إلى أبعدِ الحدودِ ، فقال ﷺ : والذي نفسي بيدِه ، لا يسألوني خُطةً يُعظمون فيها حُرماتِ اللهِ إلا أعطيتُهم إياها . ونزلَ المسلمون بعسكرِهم في الحديبيةِ ، مُنتظرين ما تؤولُ إليه الأمور .

وبينما هم كذلك ، جاءهم بُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي رضي الله عنه ـ وذلك قبل إسلامه ـ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تصميمِ قريش على صدِهم عن البيتِ ومقاتلتِهم ، فقال له النبي ﷺ : "إنا لم نجيء لقتالِ أحدٍ ، ولكنا جِئنا مُعتمرين ، وإنَّ قريشًا قد نَهَكَتْهم الحرب (أي أبلغت فيهم حتى أضعفتهم) ، وأضرَّت بهم ، فإنْ شاؤوا مادَدْتهم مُدَّة (أي جعلتُ بيني وبينهم مُدة صلح ، يُترَكُ الحربُ بيننا وبينهم فيها) ويُخلوا بيني وبين الناسِ ، فإنْ أظهرْ فإنْ شاؤوا أنْ يدخلوا فيما دخلَ فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جَمُّوا (أي استراحوا وكثروا) وإنْ هُم أبَوا فوالذي نفسي بيدِه ، لأُقاتلنَّهم على أمري هذا حتى تنفردَ سالفتي وليُنَفِّذنَّ اللهُ أمرَه ".

السالفة : هي صفحة العنق ، وهذا التعبيرُ كنايةٌ عن الموت .

العظاتُ والعبرُ

(1) استنفر النبي ﷺ الأعرابَ للخروجِ معه للبيتِ الحرام ، فأبوا وتعللوا بالأعذارِ الواهية ، وهم في الحقيقة جُبناء عن مواجهةِ قريش .

(2) إنه لمن عظيمِ الثقةِ باللهِ أنْ يذهبَ الرسولُ ﷺ ويواجهُ قريشاً في عُقرِ دارها بهذا العددِ القليلِ ، والحربُ لا زالت قائمة بين الفريقين ، وقريشُ لم تنسْ بعدُ غزوها للمدينةِ بعشرةِ آلاف من الأحزاب (5 هـ) ، علاوة على عدمِ تهيُؤِ المسلمين للقتالِ وعدم أخذِهم للسلاحِ ، فقد خرجوا لا يحملون معهم منه إلا السيوفَ في القُرُبِ (القِرابُ : الغمدُ) .

(3) عزمُ النبي ﷺ والمسلمين على المضي نحو غايتِهم ، وهي زيارةُ البيت العتيق ، وأنهم مُستعدون للصدامِ ، إذا ما ألجأتهم قريش إلى ذلك بإصرارِها على منعِهم من دخولِ الحرم (وهذا مصدرُ قوةِ المسلمين : الاستعدادُ للموتِ) .

(4) اتجاهُ النبي ﷺ نحو تعظيمِ حُرماتِ الله ، عندما علمَ أنَّ إرادةَ اللهِ هي عدمُ دخولِ مكة مُقاتلاً .

(5) كلامُ النبي ﷺ لبُدَيْل بن وَرْقاء الخُزاعي رضي الله عنه : بيانٌ عن سببِ قدومه ، وتصريحٌ منه برغبتِه في السلم ، وأنه كان يودُ لو أنَّ قريشاً خلَّت بينه وبين الناس ، ليُبلِّغ دعوةَ الإسلام ، وأن يبتعدوا عن طريقِها ليوصلَها إلى سائر القبائل حتى يقضيَ اللهُ ما يشاء ، فيستريحوا من مشقةِ قتالِه ، ولا يلحقُهم من ذلك ضرر . وهو يُصرّح في نفس الوقت باستعدادِه لقتالِ من وقفَ واعترضَ طريقِ دعوةِ الإسلام ، أي أنَّ رغبتُه للصلحِ ليست عن خورٍ أو جُبنٍ أو ضعفٍ ، وإنما هي لمصلحةِ الإسلام .

(6) لم تستطعْ قريش أنْ تأخذَ قرارًا بحربِ المسلمين ، مع علمِهم أنَّ الرسولَ ﷺ وأصحابَه رضي الله عنهم لم يكونوا يحملون غيرَ سلاحِ المسافرِ ، وليس معهم عُدَّةُ حربٍ .

بيعةُ الرضوان

حاول القرشيون في مكةٍ قدر استطاعتهم أن يمنعوا رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم من دخولِ مكة لأداء العمرة ، وقد دار بين الجانبين مفاوضات كثيرة ، انتهت بإرسالِ رسولِ الله ﷺ عُثمان بن عفان رضي الله عنه سفيرًا للمسلمين إلى قريشٍ للتفاوضِ معهم في أمرِ دخولِ المسلمين إلى مكةِ للعمرة .

أثناء انتظار عثمان بن عفان رضي الله عنه قرار قريش ، أشيع بين المسلمين أنَّه ما تأخر إلا لأنه قُتِل في مكة، وهذا يُعَدّ إهانةٌ لمنْ أرسلَه ، وأمرٌ خطيرٌ ومخالفةٌ للأعراف .

جمع رسولُ الله ﷺ المسلمين جميعًا ، ثم عقد معهم بيعةً هي من أعظم البَيْعات في تاريخ الأرض (سُميتْ بيعةُ الشجرةِ لأنَّها وقعت تحت شجرةٍ عند الحديبية ، وبيعة الرضوان لأنَّ اللهَ تعالى رضىَ عن هؤلاءِ الذين قاموا بها) .

الصحابةُ ﷺ جميعهم قد بايعوا على ألاَّ يفروا ، وبايعَ بعضُ الصحابة ﷺ على الموتِ ، بل بايعَ بعضُهم على الموتِ ثلاثَ مراتٍ كسلمةِ بن الأكوع . وقد بايعَ الجميعُ إلا واحدًا فقط ، هو الجَدُّ بن قيس ، وكان من المنافقين .

وبعد هذه البيعةِ العظيمةِ مباشرة جاء عثمان بن عفان ﷺ سالما لم يُصبه شيء، وقد أخبرهم أنَّ القرشيين قد وافقوا على الصلح ، وأنَّه سيأتي رجلٌ منهم يفاوضُ رسولَ الله ﷺ على بنودِ الصلحِ .

صُلحُ الحديبية

أرسلتْ قريشُ رجلاً لإتمامِ عقدِ الصلحِ مع رسولِ الله ﷺ ، وهو سهيل بن عمرو ، وكانت له ميزتان :

(1) أنَّه لم يصطدمْ مباشرة مع المسلمين .

(2) أنَّ عائلتَه كلُها قد أسلمت ولم يعُدْ يبقى غيره ، وكان قد قيَّد ابنَه أبو جندل في بيته ، حتى لا يخرجُ ويلحقُ بالمسلمين (وهذا يعني أنَّ له صلة مباشرة بالقضية) .

قال الرسول ﷺ : "قَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ ، أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ" .

البنودُ الأربعةُ لصلحِ الحديبية :

البندُ الأول: رجوعُ الرسولِ ﷺ وأصحابِه ﷺ من عامِهم هذا، وعدمِ دخول مكة ، وإذا كان العامُ القادم ، خرج منها أهلُها ودخلها المسلمون بسلاحِ الراكب ، وأقاموا بها ثلاثًا ، ولا تتعرضُ لهمُ قريش . وكان مما أملاه رسول الله ﷺ على سهيل بن عمرو : عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ ، فَنَطُوفَ بِهِ . فقال سهيل : والله لا تَتَحَدَّثُ العرب أنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً ، ولكنْ ذلك من العامِ المقبل ، فكُتبَ ذلك . وبمناقشةِ هذا البند يتبين :

(1) رجوعُ الرسولِ ﷺ نفسِ العام هو في صالحِ قريش ؛ وذلك أنَّه يحفظ لها نسبياً ماءوجهها .

(2) قدومُ الرسول ﷺ العام المقبل ودخولَ مكة دون مقاومة ، بل وخروجُ أهلها منها وعدمُ التعرض مطلقًا للمسلمين ، فهذا انتصارٌ هائلٌ للرسول ﷺ وللمسلمين ، ويُعدُ اعترافاً منهم بدولةِ المسلمين القوية .

البندُ الثاني : وضعُ الحربِ بين الطرفين عشر سنين يأمنُ فيها الناس ، ويكفُ بعضهم عن بعض . وهذا مطلبُ المسلمين أساساً فهم يحتاجون إلى إعدادِ وتأسيس دولتهم ، ويحتاجون إلى انتشار الدعوة في الجزيرة العربية ، وكلاهما أسهلُ في حالةِ الأمان (راجع ماذكرَه الرسولُ ﷺ لبُديل بن ورقاء الخُزاعي) .

البندُ الثالث : من أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ مُحَّد ﷺ وعهدِه دخلَ فيه ، ومن أحبَّ أن يدخلَ في عقدِ قريش وعهدِهم دخلَ فيه . فدخلتْ خزاعة في حلف الرسول ﷺ ، ودخلتْ بنو بكر في حلف قريش .

إنَّ قريش لاتستفيدُ من هذا البندِ شيئاً ، ولكنَّ القبائلَ التي تريدُ أن تدخلَ في عهد مُحَّد ﷺ وحلفه، كانت تخافُ من بطشِ قريشِ وحلفائها ، أمَّا الآن فلا . وهذا البندُ كان السببَ في فتح مكة .

البندُ الرابع : من جاء قريشًا ممَّن مع مُحَّد ﷺ (أي هاربًا منه) لا يُردَّ إليه ، ومنْ أتى محمدًا من غيرِ إذن وليه (أي هاربًا منه) يردُه إليهم . وتحليلُ هذا البندِ كما يلي :

(1) من ارتدَّ من المسلمين وهربَ إلى المشركين ، فقد أراحَ اللهُ المسلمين منه ، فضلاً عن خطورةِ وجودهِ بينهم .

(2) من أتى مِنْ قريش إلى المسلمين مُسلماً ، فإنَّ على المسلمين أنْ يردونَه إلى أهلِه من الكافرين في مكةٍ (ولايُجيرونه) ، وهذا يُعرِّضه إلى أنْ يُعذَّب ويُفتن في دينِه ، فضلاً عن خسارتِه للمسلمين ، وهذا في ظاهره في صالحِ قريش .

قال النبي ﷺ عن مثلِ هؤلاء : سيجعلُ اللهُ لهم فرجاً ومخرجاً .

أمثالُ هؤلاء يُشكلون خطراً على قريش ، لأنَّهم على غيرِ دينهم ، وهذا قد حدثَ مع أبي جندل وأبي بصير رضي الله عنه .

توثيقُ عقدِ الصلحِ

كان بين سهيلِ بن عمرو ، والنبي ﷺ ، وكان الذي يكتب هو عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، والذي يُملي عليه كلماتِ المعاهدة هو رسول الله ﷺ .

أملى رسولُ اللهِ ﷺ أن يكتب : بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ .

قال سهيل : أمَّا الرحمن فواللهِ ما أدري ما هو ، ولكن اكتبْ : باسمك اللهم .

قال النبي ﷺ لعلي : اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ .

ثم قال : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

قال سهيل : واللهِ لو نعلم أنك رسولُ الله ما صددناك عن البيتِ ولا قاتلناك ، ولكن اكتب مُحَمَّد بن عبد الله .

قال الرسولُ ﷺ : "إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي ". ثم أمرَ علياً أن يمحوَ (رسول الله) ، ويكتب : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

اعترض علي رضي الله عنه على محو (رسول الله) ، فما كان منه ﷺ إلا أنْ أمرَ عليًّا أن يُريَه موضع هذه الكلمة ، فأشارَ له ، فمحاها بنفسه ﷺ .

العظاتُ والعبرُ

(1) الصلحُ كان مجردَ هدنةٍ مؤقتةٍ (وليست دائمة) لمصلحةِ المسلمين (للأهداف السابق ذكرها).

(2) حِرصُ الطرفِ الكافر القوي على الصُلحِ ، يعني أنَّه يرى الطرفَ المسلم الضعيف قوياً إلى الحدِّ الذي يخشى بأسَه ويعملُ له حساب ، وإلاَّ لما تفاوض معه . وعلى الطرف المسلم الضعيف أنْ يفهمَ ذلك ، ويثبتَ على موقفِه ولايتنازل عن حقوقِه .

(2) بيعةُ الرضوانِ كانت خطيرةً حقاً ؛ إذ بايعَ الجميعُ على عدمِ الفرار، أي أنهم سيناجزون القوم ، وسيقاتلون قريشًا ، ولن يفروا أبدًا في هذا القتال ، وهذا رغم كونِهم لا يحملون إلا سلاحَ المسافرِ فقط .

(3) في البيعة صدقٌ تامٌ من جهةِ الصحابة ، ورضاءٌ تامٌ من قبلِ اللهِ تعالى عنهم وهم أحياءٌ يُرزقون، ونزولُ قرآنٍ يُتلى إلى يومِ القيامة ، شهادةً لهم من اللهِ تعالى . وشهد لهم الرسولُ ﷺ أيضاً : عن جابرٍ بن عبد الله أنه ﷺ خاطبَهم يوم الحديبية وقال لهم : "أَنْتُمُ الْيَوْمَ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ ". فهُم عددٌ قليل ويتسلحون فقط بسلاح المسافر، ولا مددَ لهم ؛ إذ المدينةُ على مسافةِ خمسمائة كيلو متر ولم يفكروا في أي شيء من مال أو زوجة أو تجارة سوى نصرةُ الدين ، وسيُقاتلون جيشًا بعدةٍ

وعتادٍ ، وله مددٌ قريب ، وله حلفاؤه . وكان الطبيعي أنَّهم إذا قاتلوا المشركين فإنَّهم جميعًا سيُقتلون بالمقاييسِ الدنيوية البحتة . وهذا هو المطلوبُ من المؤمنِ في دنياه .

(4) هذا الموقفُ العظيم هزَّ مكة من داخلها هزةً عنيفة وجعلها ترضخُ للمفاوضات. وهذا من أعظمِ دروسِ الحُديبية : حبُ الموتِ في سبيل الله هو مصدرُ قوةِ المسلمين . وحين انعكس الأمر، وأحبَّ المسلمون الدنيا وكرهوا الموت، نزع اللهُ مهابتَهم من قلوبِ أعدائهم، فكان الذلُ والهوانُ الذي نراه. فالحرصُ على الموتِ يقودك إلى إحدى الحسنيين : الشهادةُ في سبيلِ اللهِ تعالى ، ومافيها من النعيم المقيم أو النصرُ حيثُ التمكينُ والسيادةُ لدينِ ربِ العالمين ، بدلاً من حياة الذُلِ والهوان .

(5) البيعةُ فيها دعوةٌ للأعمالِ الصالحة التي تَثقُل في ميزانِ المسلم ، فترجحَ على جميع ذنوبه . فالله تعالى قد رضي عنهم وهم أحياء ، وهم قد يفعلون معاصي لكونهم بشراً ، ولكن عملَهم الصالحَ الذي قد عملوه ، فاق ذنوبَهم حتى لقاءِ الله تعالى . فهل لدينا شيءٌ من تلك الأعمال ؟

(6) زعم البعضُ أنَّ صُلح الحديبية فيه تنازلٌ عن الثوابتِ الإسلامية :

محو بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ليس فيها تنازل عن عقيدةِ التوحيد ، فلم يعترف بآلهتهم ، ولم يُنكرْ اللهَ ربَ العالمين ، وصيغةُ (بسمك اللهم) لاشيء فيها .

محو اسمِ رسولِ الله ﷺ : هل تراجع رسولُ الله تعالى عن صفتِه ، فقال مثلا : أنا لستُ رسولُ الله؟ كلا ، بل قال (أنا رسول الله وإن كذبتموني) . إذن هو تراجع عن كتابة ذلك الوصف في وثيقةٍ سيُوقِّع عليها الطرفان ، وهو حقًّا محمدٌ بن عبد الله !!

التنازلُ كان عن بعض المباحات (مثل رجوعِهم عن العمرة في ذلك العام) أو عن بعضِ فروعِ الشريعة (مثل عدم نصرةِ المسلم الفار بدينِه) ، وهذا ليس من أصولِ الدين أو أركانِ العقيدة ، فضلاً عن إخبارِ الوحي أنَّ اللهَ سيجعلُ لهم فرجاً ومخرجاً .

فأين هذا ممن يرتضون حُكمَ الشعبِ بدلاً من حُكمِ اللهِ تعالى ثم يستدلون بصلحِ الحديبية ؟!

عدمُ إقرارِ العدو على سلبِ حقوقِ المسلمين . وأين هذا ممَّن يعقدون صلحاً مع اليهود ، ويُقرونهم على احتلالِ فلسطين ، والسيطرةِ على المقدسات ؟

غزوةُ خيبر

وقعت في محرم سنة 7 هـ. كانت خيبر وكرًا للتآمرِ والدسِّ على المسلمين مثل تحزيب الأحزاب في غزوةِ الخندق ، ثم حثهم بني قريظة على الغدرِ بالمسلمين ونقض العهود التي كانت بينهم وبين النبي ﷺ .

لما رجع النبي ﷺ من الحديبيةِ ، اغتنم فرصة مهادنتِه لقريش ، وعزم على التوجه لليهودِ القابعين في خيبر وإنهاءِ وجودِهم ، وقد أَمِنَ هجومَ القرشيين على المسلمين في ذلك الوقت ، أو مساندتَهم لليهودِ وتحالفَهم معهم ، فأقام بالمدينة شهر ذي الحجة وبعض محرم ثم تجهز للمسيرِ إلى خيبر في بقيةِ مُحرم .

خروجُ المسلمين إلى خيبر

خرج 1400 رجلًا بقيادةِ النبي ﷺ ، بروحٍ إيمانيةٍ عالية ، مستبشرين بالغنيمة التي وعدهم الله إياها أثناء عودتهم من الحديبية { وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا } ولم يسمحْ النبي ﷺ للمنافقين وضعفاءِ الإيمان الذين تخلفوا في الحديبيةِ بالخروجِ معه ، فلم يخرجْ معه إلا أصحاب الشجرة .

وثارت الحميةُ في قلوبِ المسلمين لقتال عدوهم ، لم يفتّ في عضدِ المسلمين كثرتهم وقوتهم (10000 يهودي ، بقيادةِ كنانة ابن أبي الحُقيق) . وكانت يهودُ خيبر لا يظنون أنّ رسولَ الله ﷺ يغزوهم لمنعتِهم وحصونِهم وسلاحِهم وعَددِهم .

وقدم المسلمون خيبرَ وكان قدومهم ليلًا ، فلم يُغرِ (من الإغارة) عليهم ، فلما أصبحَ خرجت اليهودُ بآلاتهم ومُعداتهم ، فلمَّا رأوه قالوا : مُحَّد واللهِ ، مُحَّد والخميسِ . فقال النبيُ ﷺ : خَرِبَت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قومٍ فساءَ صباحَ المنذَرين ، وقد حقق النبي ﷺ بذلك عنصرَ مفاجأةِ اليهودِ ، فأوقع ذلك الاضطراب بينهم ، وارتدوا إلى حصونهم هاربين فزعين .

الخميس : يعني الجيش ، يُسمي كذلك لأنَّه مقسوم خمسة أقسام : المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب .

فتحُ خيبر

حاصر المسلمون حصونَ خيبر متأهبين لقتالِ اليهود ، وقال رسول الله ﷺ : لأُعطينَّ هذه الراية غدًا رجلًا يفتحُ الله على يديه ، يحب اللهَ ورسولَه ويحبه الله ورسوله . فلما أصبح الناس غدوا على رسولِ الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه . قال : فأرسِلوا إليه . فأُتيَ به رضي الله عنه ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له فبرأ . ثم سلَّمه الراية . وقال له : انفذ على رَسلك حتى تنزل بساحتِهم ، ثم ادعُهم إلى الإسلام ، واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فواللهِ لأنْ يهدي الله بك رجلًا واحدًا خيرٌ لك من أن يكونَ لك حُمْر النعم .

حُمُرِ النعم : هو من ألوان الإبل المحمودة .

التقى الجمعان وأبدى المسلمون الشجاعة والتضحية في سبيلِ الله ما أذهلَ اليهودُ ، وجعلهم يستميتون في الدفاعِ عن أنفسِهم وعن حصونِهم . وفتح اللهُ على رسولِه ﷺ حصونَ خيبر واحدًا تلو الآخر، وكلما فتح حصنًا يهربُ شراذم اليهود إلى الحصنِ الذي يليه ، حتى انتهى إلى آخر حصونِهم فحاصرهم حصارًا شديدًا ، حتى إذا أيقنوا بالهلكةِ ورأوا أنَّ الدائرةَ عليهم ، سألوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أنْ يحقن دماءَهم وأنْ يُسيّرهم (يُخرجهم عن بلادهم) ، ففعل . ثم سألوه أن يُبقيَهم على زراعةِ أرض خيبر مقابل نصف ما يخرجُ من ثمارِها فأعطاهم ذلك ، على أن يُخرجهم متى شاء.

يهودُ فدك

فدك قرية بالحجاز، أهلُها من اليهود . سمعوا بما حدثَ لإخوانِهم في خيبر، فبعثوا للرسولِ صلى الله عليه وسلم يسألونه الصُلح ، فصالحهم كأهلِ خيبر . وكانت فدك خالصةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيلٍ ولا ركاب ، ووزعت مغانمُ خيبرٍ بين المسلمين . وكان من جُملةِ السبي صفية بنت حيي بنت أخطب فأسلمت رضي الله عنها ، واصطفاها النبي ﷺ لنفسه وتزوجها .

ورافقَ فتحُ خيبر قدوم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المهاجرين من أرضِ الحبشة ، فسُرِّ الرسول ﷺ بقدومِهم ، وقال : ما أدري بأيهما أنا أفرح ، بفتحِ خيبر أو بقدومِ جعفر؟ وأشركهم في الغنائمِ مع المسلمين .

عُمرةُ القضاء

هي العُمرة المتفق عليها في صلحِ الحديبية بين رسولِ الله ﷺ وقريش ، وقد تمَّت في ذو القعدة 7 هـ. خرج رسول الله ﷺ في ألفين من أصحابه ، وحملَ معه سلاحًا كثيفًا ، تحسُّبًا لأي خيانةٍ من قريشٍ ، ولكنه كان ينوي دخول مكة كما اتفق مع أهلِها العام الماضي ، بسلاحِ المسافر فقط ، ورأتْ عيونُ قريش الأسلحة فَفَزِعَتْ ، وأرسلت وفدًا برئاسة مِكْرَز بن حفص ليستوضحوا حقيقةَ الأمر، فقابلوا رسول الله ﷺ في بطن يأْجُج (موضع قرب مكة) ، فقالوا له: يا مُحَّد؛ والله ما عرفناك صغيرًا ولا كبيرًا بالغدر. تدخلُ بالسلاحِ الحرمَ على قومك ، وقد شرطتَ ألاَّ تدخل إلاَّ على العهدِ ، وأنَّه لن يدخلَ الحرمَ غيرَ السيوفِ في أغمادِها ؟!

فقال رسول الله ﷺ : "لا نَدْخُلُهَا إلاَّ كَذَلِكَ ". ذهب مِكْرَز مُسرعًا إلى مكة يقول لهم : إنَّ محمدًا لا يدخل مكة بسلاح ، وهو على الشرطِ الذي شرط لكم .

ووضع رسولُ الله ﷺ السلاحَ خارجَ مكة ، وترك معه مُحَّد بن مسلمة في مائتي فارس لحمايتِه ، ودخل هو وبقية الصحابة لأداءِ العمرة بالسيوف في أغمادها كما وَعَدَ . وكان الاتفاقُ على أن تُخْلِيَ قريشٌ مكةَ بكاملِها للمسلمين مدَّة ثلاثة أيامٍ كاملةٍ لأداء مناسك العمرة، وقد تمَّ ذلك ، ووقف المشركون على رءوسِ الجبالِ المحيطة يُشاهدون مناسكَ العمرةِ طِبْقًا للشرعِ الإسلامي .

وتمَّتْ العمرةُ المباركة ، وفي آخرها تزوَّج رسولُ الله ﷺ من ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها ، وهي خالةُ خالد بن الوليد من كبار زعماء قريش ، وأخت أُمِّ الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، وعَمِّ الرسول ﷺ .

وجاء وفدُ قريش فقالوا له بغلظة : إنَّه قد انقضى أجلك ؛ فاخرج عنا . فقال لهم : وَمَا عَلَيْكُمْ لَوْ تَرَكْتُمُونِي فَأَعْرَسْتُ (أتممت العُرس على ميمونة) بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَصَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا فَحَضَرْتُمُوهُ ؟ وردُّوا عليه : لا حاجة لنا في طعامِك ، فاخرج عنَّا .

احترم رسولُ الله ﷺ عهده ، وخرج دون تباطؤٍ إلى المدينةِ المنورة .

العظاتُ والعبرُ

(1) حِرصُ الرسولِ ﷺ على الدعوةِ إلى الإسلام وهدايةِ الناس قبل القتال ، حتى لو كان ذلك سببًا في تفويتِ الغنائم على المسلمين ، كما أوصى علي بن أبي طالب رضي الله عنه بذلك ، بل أخبره أنَّ هدايةَ رجلٍ واحد خيرٌ من أن يكونَ له حُمرُ النعِم .

(2) الوفاءُ بالعهد : لقد وصلت قريش إلى حالة من الضعف لا تستطيعُ فيها أن تُواجه قوَّة المسلمين، فكان هذا الفزع من القوَّة الإسلامية ، وكان من الممكن أن يستغلَ رسول الله ﷺ هذا الفزع والهزيمة النفسية ، وكان من الممكن أن يستغلَّ اقترابه من مكة ، وهو في ألفين من رجاله مُدجَّجِينَ بالسلاح ، في غزو مكة بحُجَّة استرداد الحقوق ، أو بحُجَّةِ المعاملة بالمثلِ ، جزاء حصارِ الكفارِ للمدينةِ في غزوةِ الأحزاب .

(3) زواجُ النبي ﷺ من السيدةِ ميمونة ، خالة خالد بن الوليد ، سوف يُقَرّبُ منه أكثر ، وهو من أعظم القُوَّاد العسكريين في مكة . ويومَ الحديبية ؛ رأى خالد من أحوالِ المسلمين ما يدل على أنهم مُؤَيَّدُون بقوَّةٍ خارقةٍ لا يعرفها ، حتى إنَّه يصفُ الرسولَ ﷺ بقوله : الرَّجُلُ مَمْنُوعٌ . وأسلمَ خالد ﷺ بعد شهورٍ قليلةٍ من عُمرةِ القضاء .

(4) بعد عُمرة القضاء ، أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يكونَ طبيعيًّا تمامًا في تعاملِه معهم ؛ فدعاهم إلى طعامِه وشرابِه واحتفالِه بعُرسه ، مُتناسيًا تمامًا تاريخَهم الأسودِ معه .

سريةُ مُؤتة

مؤتة قرية من قرى الشام بينها وبين بيتِ المقدس 80 كيلو متر تقريباً . وحدثتْ سرية مؤته في جُمادى الأولى سنة 8 هـ ، وهي أعظمُ حربٍ يخوضُها المسلمون في حياة النبي ﷺ .

سببُ الغزوة

بعث النبي ﷺ الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه بكتابِه إلى عظيمِ بُصرى ، فعرضَ له شُرحبيل بن عمرو الغساني ، وكان عاملاً على البلقاءِ من أرضِ الشام من قِبلِ القيصر ، فأوثقه رباطًا ، ثم قدَّمه فضرب عنقه (وهذا ممنوعٌ عرفاً) . فاشتدَّ ذلك على رسولِ الله ﷺ .

الإعدادُ للغزوةِ :

جهَّز رسولُ اللهِ جيشًا قوامُه ثلاثة آلاف مقاتل . وأمرَّ عليه زيدُ بن حارثة ﵁ ، وقال : إنْ قُتل زيدٌ فجعفر، وإنْ قتل جعفرٌ فعبد الله بن رواحة رضي الله عنهما ، وعقد لهم اللواء ودفعه إلى زيدِ بن حارثة ، وأوصاهم أنْ يأتوا مقتلَ الحارثِ بن عمير، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام ، فإنْ أجابوا فخيراً ، وإلا استعينوا بالله عليهم وقاتلوهم ، وقال لهم : اغزوا بسمِ الله في سبيل الله من كفرَ بالله ، ولا تغدروا ولا تغيروا ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا كبيرًا فانيًا ولا منعزلاً بصومعة ، ولا تقطعوا نخلاً ولا شجرةً ، ولا تهدموا بناءً .

وتحركَ الجيشُ في اتجاه الشام حتى نزل بمعان من أرضِ الشام مما يلي الحجاز، عندها نقلت إليهم الأخبارُ بأنَّ هرقلَ جمع مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من العرب مائةُ ألف أخرى .

أقام المسلمون في معانٍ ليلتين يفكرون في أمرِهم ويتشاورون (المشكلة : لقاءُ جيشٍ كبيرٍ في أرضٍ غريبةٍ وبعيدة) ، ثم قالوا : نكتبُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فنُخبره بعددِ العدو، فإمَّا أن يمدنا بالرجال ، وإمَّا أن يأمرنا بأمره فنمضي له .

قال عبد الله بن رواحة ﵁ : يا قومُ واللهِ إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون ، الشهادة ، وما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كَثرةٍ ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدينِ الذي أكرمنا الله به ، فانطلِقوا ، فإنَّما هي إحدى الحُسنيين ، إما ظهورٌ وإما شهادة . وأخيرًا استقر الرأيُ على هذا القولِ .

تحرك الجيشُ الإسلامي وانحاز المسلمون إلى مؤتة ، فعسكروا هناك وتعبأوا للقتال ، والتقى الفريقان.

أخذ الرايةُ زيدَ بن حارثة ﵁ ، وجعل يقاتلُ بضراوةٍ بالغة ، حتى خرَّ صريعًا .

وحينئذ أخذ الراية جعفر بن أبي طالب ﵁ ، وطفق يقاتل قتالاً مُنقطع النظير، حتى إذا أرهقه القتال نزل عن فرسِه وعقرها ، ثم قاتلَ فقُطعت يمينه ، فأخذَ الراية بشماله ، ولم يزل بها حتى قطعت شماله ، فاحتضنها بعضديه رافعًا إياها حتى قُتِلَ ، فأبدله الله بهما جناحين يطيرُ بهما في الجنة ، وكان يُسمى بعد ذلك جعفر الطيار. روى البخاري أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا حيَّا ابن جعفر قال : السلام عليك يابن ذي الجناحَيْنِ (رواه البخاري) .

أخذ الراية عبد الله بن رواحة ﵁ فتقدمَ ، فقاتلَ حتى قُتل .

حملَ الراية الصحابي الجليل ثابتَ بن أقرمِ البدريّ ﷺ (شهد بدرًا) ، فقال: يا معشرَ المسلمين ، اصطلحوا على رجلٍ منكم . فقالوا : أنت تحمل الراية . فقال : ما أنا بفاعل. فاجتمع الناس على خالد بن الوليد ﷺ ، وأعطوه الراية (أول مواقفه في سبيلِ الله) ، وجاهدَ جهادًا عظيمًا ، وقال كما في البخاري : لقد انقطعت في يدي يومَ مؤتة تسعةَ أسياف ، فما بقي في يدي إلاَّ صفيحةٍ يمانية .

وعلى هذا الحال استمرَ القتالُ يومًا كاملاً ، ما تراجع المسلمون فيه لحظةً واحدةً ، وإنما وقفوا كالسدِّ المنيع أمامَ عدوِهِم ، واستمرَ الحالُ على هذا الوضعِ حتى جنَّ المساء (وهاهنا يتوقفُ القتالُ عُرفاً) .

بدأ خالدُ بن الوليد ﷺ في تنفيذ خُطَّة بارعة من مرحلتين للنجاةِ بجيشه :

المرحلةُ الأولى : إشعارُ الجنودِ بأنَّ هناك مددًا كبيرًا قد جاءَ للمسلمين ؛ وذلك حتى يتسللَ لهم الإحباط .

(1) إثارةُ الغبارِ الكثيف في أرضِ المعركةِ عن طريقِ الخيل وعن طريقِ بعضِ الجنودِ على التلالِ .

(2) تغييرُ ترتيبِ الجيش (فجعل الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة ، وجعل المقدمة مؤخرة والمؤخرة مقدمة) وتغييرُ الراياتِ والوجوهِ والهيئاتِ .

المرحلةُ الثانية : بدأَ في اليوم التالي للمعركة بالتراجعِ التدريجي بجيشِه إلى عُمقِ الصحراء ؛ الأمر الذي شعر معه الرومان بأنَّ خالدًا يستدرجهم إلى كمينٍ في الصحراء، فترددوا في متابعته ، وقد وقفوا على أرضِ مؤتة يشاهدون انسحابَه بجيشِهِ ، دون أنْ يجرءوا على مهاجمتِه أو متابعتِه .

ونجحت خُطةُ خالد بن الوليد ﷺ، وسحبَ الجيش بكاملِه إلى عُمق الصحراء، ثم بدأ الجيشُ في رحلة العودة إلى المدينةِ المنورة سالمِا . وهكذا عاد المسلمون ولم يلقوا ضررًا ، واستُشهد منهم اثنا عشر رجلاً فقط ، ولا يُعلم عدد قتلى الرومان لكثرتهم ، على الرغمِ من أنَّ الرومَ كانت أكبر وأعظم قوة على وجهِ الأرض حينئذٍ (وهذا يُعدُ انتصاراً بالمقاييس العسكرية) .

روى البخاري عن رسولِ اللهِ ﷺ ، مُخبرًا بالوحي ، قبل أنْ يأتيَ إلى الناس الخبرُ من ساحة القتال : أخذ الرايةُ زيدٌ فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأُصيب ، وعيناه تذرفان ، حتى أخذَ الرايةَ سيفٌ من سيوفِ الله ، حتى فتحَ اللهُ عليه.

العظاتُ والعبرُ

(1) قال عبد الله بن رواحة : ما نقاتلُ الناس بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به أهـ. هذه رسالةٌ إلى المجاهدين في ساحاتِ الوغى ، الساعين لإعادةِ الأمة إلى مجدِها وعزِها . ورسالةٌ أيضاً إلى الجبناءِ المنهزمين ، الذين لاهمَّ لهم إلا الدنيا ينهلون من شهواتها . وهي نبراسٌ يُضي للأمةِ طريقَها في نشر دين الله ، وفي جهادها ودعوتِها ، وهي شعارٌ تتعاقبه أجيالُ الأُمة ، يرضعه الوليدُ من أمه ، ويتلقنه الصغير ويحيا عليه الكبير .

(2) نعى النبيُ ﷺ القوادِ الثلاثة وعيناهُ تذرفان ، فقد عاش ﷺ لأمتِه همًا وغمًا ، ألمًا وأملاً ، فرحًا وحزنًا . فياأيها المسلم : هل تحملُ همَّ دينِك وأُمتِك سعيًا في إصلاحِها ؟ كمْ تفرحُ للدنيا وملذاتِها ، وتحزنُ لفواتها وانقطاعها ، فلِمَ لا تحركُ ساكنًا ، بل وتبخل حتى بالدمعة ، إذا أُحتلت بلاد المسلمين، أو أُنتهكت أعراض المسلمات !!

(3) معيارُ القوة والضعف عند المسلمين مُختلفٌ تماماً عن غيرهم : كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ [البقرة: 249] .

(4) الإيمانُ في قلوبِ أهله ، أقوى من قوى العالمِ وإن اجتمعت ، فكمْ من مجاهدٍ أعزلٍ من السلاح يرفعُ إصبعَ السبابه يُناجي ربه ، وكمْ من دعوةٍ في جُنْحِ الظلام تُفتَّحُ لها أبوابُ السماء ، تفعلُ الأفاعيل في أعداءِ اللهِ بل هي أشدُ عليهم من آلاف المقاتلين .

(5) على الأمة أن تُربي أبناءها على حبِ دينِهم واعتزازهم به ، والشعورِ بالنصر والعلو والفخر ، وعلى الآباءِ والأمهاتِ والمربين أن يعرضوا سيرَ الأفذاذ من صحابةِ رسولِ الله ﷺ وأتباعهم للأجيالِ الصغيرةِ والشابة .

(7) سقوطُ القادةِ الثلاثةِ شهداء، يُثبتُ للجميع أنَّ القيادةَ مسئوليةٌ وتكليفٌ وليست تشريفاً قط ، وأنَّ القدوةَ هي أبلغُ وسائلِ التربية . فثباتُهم كان سببًا في ثباتِ الجيش الإسلامي . واستلامُ خالدُ بن الوليد للراية ، يُمنينا بأنَّ رايةَ الإسلام لن تسقطَ أبداً.

غزوةُ فتحِ مكة

سبب الغزوة : خيانةُ قريشٍ لصلحِ الحديبية

كان بين خزاعة وبني بكر ثارات قديمة أيامَ الجاهلية ، واعتدت بنو بكر على خزاعة ، وأعانت قريشُ بني بكر على ذلك بالسلاحِ والرجالِ ، وعُدَّ ذلك خرقًا لبنودِ صلحِ الحديبية، ولما وصلت الأخبارُ بذلك للرسولِ ﷺ ، أخذ القرارَ بفتحِ مكة .

قريشُ تدرك الخطأ

جلسَ أبو سفيان مع قادةِ مكة ، للتشاورِ فيما سيفعلونه نتيجةِ نقضِ المعاهدة ، ورأوا احتمالَ غزوِ مكة ، وبناءً على هذا الاجتماع أخذت قريش قرارًا بذهاب أبي سفيان إلى المدينةِ المنورةِ لاستسماحِ الرسولُ ﷺ أن يتغاضى عن هذا الخطأ ، وأن يُطيل الهدنة .

وكان هناك انطباع عند قريش ، وخاصةً عند أبي سفيان بقوةِ المسلمين : وتمثَّل ذلك في بيعةِ الرضوان وصلحِ الحديبية وعمرةِ القضاء والانتصارات الإسلامية الكبيرة كبدرٍ ومؤتة ، وفي إسلامِ الدولِ والقبائلِ المحيطة بمكة المكرمة . وتمثل أيضاً في سمعةِ المسلمين عند الروم . أرسل هرقل إلى أبي سفيان في ركبٍ من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام ، في المدةِ التي هادن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً ، فأتَوه وهم بإيلياء (بيت المقدس) . وخرجَ أبو سفيان من هذه المحاورة بانطباعٍ عن رسولِ الله ﷺ وخرجَ يضرب يدًا بيدٍ ويقول : لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة (ارتفع أمرُ الرسولِ ﷺ) إنَّه يخافه مَلِكُ بني الأصفر (هرقل) .

ذهابُ أبي سفيان إلى المدينة

دخل أبو سفيان المدينة ونزل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة ﵂ ، فأراد أنْ يجلس على فراشِ الرسول ﷺ فأبت أم حبيبة ، وقالت له : أنتَ رجلٌ مشركٌ نجس .

حاول أبو سفيان تجديد الصلح ، ولكن الرسولَ لم يردْ عليه شيئًا ، فحاول الاستشفاع بأصحابِ النبي فلم يستطع أحدٌ منهم أنْ يُجيرَ على الرسول ﷺ ، فقام أبو سفيان فآجر نفسَه بين الناس عملاً بنصيحةِ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فلم يقم أحدٌ لإجارتِه ، فركب أبو سفيان بعيره راجعًا إلى مكة ، وتيقن العزمَ على فتحِ مكة .

استجار : طلب الحماية من الاعتداء .

الاستعدادُ للغزوة :

أمرَ الرسولُ ﷺ الناس بالتجهيزِ للغزو وصرّح لهم بما يُريده ، ولكنَّه دعا ربه جل وعلا أنْ يأخذَ العيون والأخبار عن قريشٍ حتى يباغتوها في ديارِهم ، وزيادةً في الإخفاءِ والتمويه بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بسريةٍ في اتجاهِ آخر ليظنَّ الناس أنَّه متوجهٌ لها .

حادثةُ حاطبٍ بن أبي بلتعة

أثناء الاستعداء للغزوةِ ، كتب حاطبُ بن أبي بلتعة وكان من المهاجرين الأولين ومن أهل بدر ، برسالةٍ لأهلِ مكة يخبرُهم بالأمرِ وذلك مع امرأةٍ مُستأجرة لذلك ، فأطلعَ جبريلُ الرسولَ صلى الله عليه وسلم على ما حدث استجابةً لدعوةِ الرسول ﷺ بأخذِ العيونِ عن قريش ، فأرسل الرسولُ علياً والمقدادَ رضي الله عنهما فأحضرا المرأة واستخرجوا الكتابَ منها . فقال الرسولُ ﷺ لحاطبٍ : ما هذا يا حاطب ؟ فقال حاطبٌ رضي الله عنه : لا تعجل عليّ يا رسول الله ، والله إني لمؤمنٌ باللهِ ورسولِه، وما ارتددت ولا بدَّلت ، ولكني كنتُ امرأً مُلصقًا في قريشٍ لستُ من أنفسِهم ولي فيهم أهلٌ وعشيرةٌ وولدٌ وليس فيهم قرابةٌ يحمونهم ، وكل من معك لهم قرابات يحمونهم ، فأحببتُ إذ فاتني ذلك أنْ أتخذَ عندهم يدًا يحمون بها قرابتي ، فقال عمر بن الخطابرضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضربُ عنقه ، فإنَّه قد خان اللهَ ورسوله ، وقد نافق ، فقال الرسولُ ﷺ : إنه قد شهد بدرًا وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطَّلع على أهلِ بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم ؛ فبكى عمر، وقال : اللهُ ورسولُه أعلم .

الملصَقُ : هو الرجلُ المقيمُ في الحي وليسَ منهم .

خروجُ الجيش الفاتح

خرج الجيشُ الفاتح في 10 رمضان 8هـ من المدينةِ إلى مكة ، وفي الجُحفة لقيه العباسُ بن عبد المطلب مهاجرًا بعياله وماله فكان بذلك آخر المهاجرين ، وكان أول المهاجرين هو أبو سلمة ﵁ . وأمرَ الرسول الجيشَ بالفطرِ ليكون أقوى لهم على القتال ، وأمر كل جندي في الجيش أنْ يوقدَ نارًا ليلقوا الرعب في قلب قريش فأوقدوا عشرة آلاف نار ، ووصلوا حتى منطقة مر الظهران ، وقريشٌ لا تعلمُ شيئًا عنهم .

خرج العباسُ ليلاً يلتمسُ بعض أهل قريش يخبرهم بالجيشِ حتى يخرجوا للرسولِ ﷺ يستأمنون عنده، وبالفعلِ يقابل العباس أبا سفيان ويخبره بقدومِ الجيش فدخل أبو سفيان مع العباس إلى معسكرِ المسلمين ليطلبَ الأمانَ من الرسولِ ﷺ ، ويعرضُ عليه الرسول الإسلام فيتلكأ أبو سفيان ويتردد في البداية ، ثم يشهدُ شهادةَ الحقِّ ، فقال العباس: يا رسولَ الله إنَّ أبا سفيان رجل يحبُ الفخرَ فاجعل له شيئًا ، قال الرسول : نعم، من دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابَه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن .

الحربُ النفسيةُ لأهلِ قريش

أمرَ الرسول ﷺ بشن حربٍ نفسية على أبي سفيان ليُحدِثَ له هزيمة نفسية ورُعب ، ينقله أبو سفيان لأهلِ قريش فتسقطُ مقاومتُهم للمسلمين . فحبسَ العباس أبا سفيان ليرى كتائبَ الجيشِ الإسلامي ، فأذهله ما رآه من كثافةِ الجيش وقوته ، ودخله الرعب الشديد ، فقال للعباس : واللهِ يا أبا الفضل لقد أصبحَ مُلك ابن أخيك اليوم عظيمًا ، فقال العباس : يا أبا سفيان إنَّها النبوة ، فقال أبو سفيان : فنعم إذن .

كانت رايةُ الأنصار مع سعدِ بن عبادة ﵁، فلما رأى أبا سفيان قال له : اليومُ يومُ الملحمة (أي يوم المقتلة العظمى) اليوم تُستحلُ الكعبة . اشتكى أبو سفيان للنبي ﷺ ما قاله سعد ، فقال ﷺ: كذبَ سعد (أي أخطأ) ولكن هذا يومٌ يُعظِّم الله فيه الكعبة ، ويومٌ تُكسى فيه الكعبة . ونزعَ الرسولُ اللواءَ من سعدٍ وأعطاه لولدِه قيس (لم تخرج منه ، إذ صارت لابنِه) .

دخل أبو سفيان مكة مُسرعًا وصرخَ بأعلى صوته : يا معشرَ قريش هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قِبل لكم به ، فمنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو آمن . فهرعَ الناسُ مسرعين لبيوتِهم والمسجدِ الحرام . ورفضَ بعضُ شبابِ قريش إلقاء السلاح وأصروا على مقاومةِ الجيشِ المسلمِ واجتمعوا لقتال المسلمين وجعلوا عليهم عِكرمة بن أبي جهل .

دخولُ مكة

وزَّع الرسولُ جيشَه على أقسام : الميمنة وجعل عليها خالد بن الوليد ، وأمرهم أن يدخلوا مكة من أسفلِها ، والميسرة وعليها الزبير بن العوام ومعه راية الرسول ﷺ ويدخلُ مكة من أعلاها ، والمشاةُ وعليهم أبو عبيدة بن الجراح .

ودخل الرسولُ ﷺ مكة على راحلته ، وهو يضع (يخفض) رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه اللهُ به من الفتح ، ودخلَ المسجدَ الحرام ، ومِن حوله المهاجرون والأنصار ، فاستقبلَ الحجر الأسود، وطاف بالبيت وفي يدِه قوسٌ يطغى (يعلو) به الأصنام الموجودة بالحرمِ ليُحطمها وهو يقولُ: جاءَ الحقُ وزهق الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زهوقًا ، ودخل الكعبةَ وطهرها ممَّا كان بها من الصور، ثم صلَّى فيها ركعتين .

إصدارُ العفوِ العامِ عن قريشٍ وإهدارُ دم القليل منها

خطب الرسول ﷺ فيهم : يا معشرَ قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ ، قالوا: خيرًا أخ كريم وابنُ أخ كريم ، قال : فإني أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : لا تثريبَ عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطُلقاء .

وقررَ أيضاً إهدارُ دماءِ رجال من أكابرِ المجرمين كعكرمةِ بن أبي جهل ، بلغ عددُهم تسعة نفر ستة رجال وثلاثةَ نساء، ولكنَّ الرسولَ عفا عن بعضِهم بعد ذلك .

العظاتُ والعبر

(1) الاهتمامُ بسياسةِ الإخفاءِ والتمويهِ عن العدو .

(2) فعلُ حاطبٍ ﷛ كان جريمةً لموالاتِه أعداءِ الله تعالى ، وإن كان من أهل بدر . وجريمتُه إما أنْ تكون كبيرة ، غفرها له شهودُه بدراً ، وإما أنْ تكون كُفراً ، ومنع من تكفيرِه التأول بأنَّ هذا الفعل

هو لمجرد حمايةِ قرابتِهِ ، وأن فعله لن يضر النبي ﷺ . ودليلُ ذلك : اعتبار عمر رضي الله عنهأنَّ الفعل نفاق يستحقُ ضربَ العُنق ، مع عدم تخطئة النبي ﷺ له ـ شعورُ حاطبٍ بأنَّ الفعل خيانةٌ للمسلمين ، ومسارعته بنفي الكفر عن نفسه ـ تصديقُ النبي ﷺ لحاطب بما يعني أنَّ قصدَ حاطبٍ هو مصانعةُ قريش لحماية قرابتِه فقط ، ولكنه أخطأ في طريق الوصول لذلك ، واللهُ أعلم .

(3) الأمرُ بالفطرِ في القتال .

(4) تعمدُ القاءِ الرعبِ في قلوبِ الأعداءِ (إيقادُ النار أثناء سير الجيش المسلم) .

(5) سنةُ ارضاءِ من يُحبُ الفخرَ من المسلمين ، بالحدود الشرعية .

(6) الغرضُ الأساسي للفتحِ هو الاستسلامُ للسلطةِ الإسلامية ، وليس القتل والانتقام قط (من دخل داره فهو آمن ـ العفو العام بعد ذلك ـ تخطئةُ سعد بن عبادة عندما قال اليوم يوم الملحمة). وقارن هذا مع سلوك الغزاة من الكفارِ والمشركين .

(7) تعمدُ الهزيمةِ النفسيةِ للعدو (رؤيةُ الجيشِ من أبي سفيان) .

(8) العفوُ العامُ عند الاستسلامِ ، مع إهدارِ دمِ أكابرِ المجرمين .

(9) كان هذا الفتحُ من أعظمِ انتصاراتِ المسلمين وبشارةً عُظمى بقيامِ دولةِ الإسلام .

غزوةُ حُنين

كانت هوازن وثقيف يستعدان لحربِ الرسول ﷺ تحتَ قيادةِ مالك بن عوف ، وجمعوا خمسة وعشرين ألف مقاتل .

ووصلت الأخبار بذلك إلى النبي ﷺ ، وكان وقتئذٍ في مكة ، فأرسلَ الصحابي عبد الله بن أبي حَدْرَد الأسلميّ رضي الله عنه ؛ ليتأكدَ من الخبر، فجاءه بتأكيدِ ذلك (هوازن قد جاءت على بَكرةِ أبيهم بنسائِهم ونعمِهم وشائِهم) فقال ﷺ: "تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ" (رواه أبو داود وصححه الألباني) .

الاستعدادُ للغزوة

أولاً: قرر الرسولُ ﷺ الخروج للقتالِ في مكان متوسط بين هوازن ومكة ، فقد آثر ألاّ ينتظر بمكة ، لخوفِه من تعاونِ أهلِ مكة معهم (لأنَّهم حديثو عهدٍ بشركٍ) .

ثانيًا: كان الجيش الإسلامي اثني عشر ألفَ مقاتل (العشرة آلاف الذين فتح بهم مكة ، وألفين من المسلمين الطلقاء، الذين أسلموا يوم الفتح) .

ثالثاً : اهتم ﷺ بالحراسة الليلية للجيش الإسلامي، لِئلاّ يُباغت فجأة ، ووضعَ عليها أنس بن أبي مرثد .

رابعاً : اهتم بالحالة المعنوية للجيش الإسلامي ، فقد بشَّرهم بأنَّ جيش هوازن سيصبحُ غنيمةً للمسلمين إنْ شاء الله .

التوجهُ إلى حُنين

وكان في 6 من شوال سنة 8 هجرية . وفي أثناء الطريق قال بعض المسلمين الجدد من الطلقاء (لن نُغْلَب اليوم من قلة) وسَرْعان ما انتشرَ في الجيشِ بكاملِه بلا استثناء . وهذه الكلمة تعبيرٌ عن مرضٍ قلبيٍ خطير، هو العُجْبُ بالنفسِ وبالعددِ وبالإعداد المادي (الاعتمادُ على الأسبابِ دونَ ربِّ الأسباب) .

وهذا قادَ إلى شيءٍ خطيرٍ آخر، وهو الثقةُ الزائدةُ بالنفس ، مما يدفعُ الإنسان إلى عدمِ الاكتراثِ بقوةِ عدوِه ، وظهرَ بعض القصور في أداءِ المسلمين كما يلي :

(1) كانت خطوات الجيش الإسلامي مُتثاقلة ، ومن ثَمَّ وصل مالكٌ بن عوف بجيشِه إلى وادي حُنَيْن قبل المسلمين ، وبالتالي نشر قواتَه في الأماكن المناسبة ، واحتل المواقع الاستراتيجية ، واستراحت جيوشه بصورة كافية قبل اللقاء(وهذا في صالح المشركين) .

(2) اندفع الجيشُ الإسلامي إلى سهل حُنَيْنٍ دون تروٍّ ، ولم يضعْ أيةَ حماية لخلفيةِ الجيش الإسلامي قبل أن يدخل في وادي حُنَيْن ، ولم ينظر إلى الكمائن (وهذا خطأ) .

أحداثُ يومِ حنين

وما هي إلا دقائق من دخول الجيش الإسلامي في وادي حُنَيْن ، حتى انهالت عليه الأسهم والرماح من كُلِّ مكان ، وثارت خيولُ هوازن في وجوه المسلمين ، وخرجت فرق هوازن من هنا وهناك ، وأُحيطَ بالمسلمين من كلِ مكان ، وفترت همتُهم جميعًا إلا أقل القليل (الذين ثبتوا : اثنا عشر رجلاً فقط) ، وأخذ معظمُ الجيشِ قرارًا واحدًا في لحظة واحدة ، وهو الفرارُ العشوائي في أي اتجاه ، وشعر المسلمون أنَّ الصحراءَ الواسعةَ أصبحت ضيقة جدًّا لا تسمحُ لهم بالفرارِ .

مواقف الطلقاء تباينتْ المواقف كما يلي :

منهم من صرّح بكفره ، مثل كَلَدَةُ بن الحنبل ، ولكنه أسلم بعد ذلك وله صُحبة ، فقال : ألا بطلَ السِّحْرُ اليوم (يتهم الرسول بالسحر) . ومنهم من حاولَ قتلَ الرسولِ مثل شيبةُ بن عثمان ، ولكنه أسلمَ بعد ذلك وحسُنَ إسلامه .

ومنهم من ثبتَ على الإسلام ولم يمضِ على إسلامه أسبوعين أو ثلاثة ولم يتردد لحظة ، مثل عِكرمة بن أبي جهل . قال عكرمةُ عندما رأى فرارَ المسلمين : هذا بيدِ الله ، ليس إلى محمدٍ منه شيء (النصرُ والهزيمةُ بيد الله) ، ثم قال: إنْ أُدِيل عليه اليوم ، فإنَّ له العاقبةَ غدًا (النصر سيكونُ حليفَه غدًا) .

موقفُ الرسولِ ﷺ والصحابةِ ﷺ :

ثباتُ القيادة

ثبت الرسولُ ﷺ في هذه الموقعة ثباتًا عجيبًا ، ولم يكتفِ بالثبات وعدم الفرار، بل كان يركض بدابتِه ناحية الكفار، وينادي بأعلى صوتِه : أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ . هَلُمُّوا إِلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

الاعتمادُ على الموثوقِ فيهم من الجنود

وجَّه الرسولُ ﷺ النداءَ في أولئك الذين يثقُ في دينهم ، ويطمئنُ لعقيدتهم . فهو يعلمُ تمامًا أنهم وإن فروا في أول يوم حُنَيْن إلا أنهم سيعودون سريعًا إلى حالتِهم الأولى من البذلِ والعطاءِ والجهاد بمجرَّد التذكير؛ إنهم أصحابُ بيعة الرضوان ، وهؤلاء إذا ثبتوا فكلُ الناسِ بعد ذلك ستثبت بثباتِهم . فأمرَ

العباس بن عبد المطلب أن ينادي على هؤلاء ، فرفع العباس صوتَه : يا أصحاب الشجرة ، يا أصحابَ البيعة يوم الحديبية ، اللَّهَ اللَّهَ ، الكرةُ على نبيِكم يا أصحابَ السَّمُرة .

عودةُ الفارين

عادت إليه مجموعةٌ كبيرة من الفارّين ، وما هي إلا لحظات حتى كان مع الرسول ﷺ مائةٌ من الرجالِ ، بعد أن كان معه اثنا عشر (الثابتون الأوائل) ، ثم بدأ المسلمون يتوافدون من كل مكان، وعندما تجمعوا قال ﷺ : حَمِيَ الْوَطِيسُ (رواه مسلم) أي حميتْ الحربُ واشتدتْ الحربُ ، وبدأَ المسلمون فعلاً في قتالٍ دامٍ .

وأمسكَ الرسول ﷺ حفنةً من التراب ، وقذفها في وجوهِ الكفار، وقال : شَاهَتِ الْوُجُوهُ (رواه مسلم) فدخل الترابُ في عيونِ وأنوفِ جميعِ الكفار، وكانت نقطةُ تحوُّلٌ فارقة .

تصحيحُ مرضِ القلوبِ .

ذكرهم الرسولُ ﷺ بما نسوه ، أنَّ النصرَ من عند الله ، فرفعَ رسولُ اللهِ ﷺ صوته يُطمئِنُ المسلمين ويقول : "انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، انْهَزَمُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ "، ثم رفع يده إلى السماء: "اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا".

نزولُ النصرِ على المسلمين

(1) أنزلَ اللهُ الملائكةَ لتقاتلَ مع المؤمنين (راجع الآيات) .

(2) أنزلَ اللهُ على المؤمنين السكينة ، فقاتلوا بثباتٍ وقوة . وأنزل اللهُ الرعبَ في قلوبِ الكافرين ، فولَّوا مدبرين ، وتركوا وراءهم أموالهم وأنعامهم وأكثر نسائِهم وأولادهم (وهذا هو العذاب المذكور في الآية) . وفرُّوا في ثلاثة اتجاهات ؛ والجزءُ الرئيسي فرَّ إلى مدينةِ الطائف . وهربَ معهم قائدُهم مالك بن عوف الذي دفعهم إلى هذه المهزلة العسكرية ، واندفعَ المسلمون خلفَهم يطاردونهم في كل مكان ، وتوجه الجيشُ الرئيسي بقيادةِ الرسولُ ﷺ إلى الطائفِ لحصارِ هوازن وثقيف فيها ، وأوقفَ الرسولُ ﷺ توزيعَ الغنائم الهائلة التي حصلوا عليها حتى يعودَ من الطائف .

(4) كان شهداءُ المسلمين في هذه الموقعة خمسةً فقط ، وقتلى المشركين سبعين فردًا . وفي الحقيقة لم يكن هناك قتالٌ يذكر ، إنَّما فرّ وكرّ من المسلمين والمشركين .

العظاتُ والعبرُ

(1) ثباتُ القائد ثباتٌ لجنوده والعكس صحيح ، وهذا مافعله رسولُ الله ﷺ ، ضرب القدوةَ من نفسه كقائدٍ ، وهذه رسالة إلى كل القادة . فالثباتُ هبةٌ من ربِ العالمين ، يعطيها الله تعالى لمن يستحق.

(2) الأخذُ بالأسبابِ مع الاعتمادِ الكاملِ على ربِّ الأسباب . هذا هو الحقُ الذي لاريبَ فيه . فمن أهمل الأسباب أخطأ ، ومن توكلَّ على الأسباب ضلَّ وانحرف . وما أكثر توكُّلنا اليومَ على الطبيب الماهر المشهور ولانرفعُ الأيدي إلى اللهِ لطلب الشفاء منه ، وهو سبحانه الشافي !! وكثيرًا ما نثقُ بمالِ الأغنياءِ من البشرِ، وننسى أن نرفعَ أيدينَا بالدعاءِ لله الغني الرازق !!

(3) هذه المعركةُ كانت شديدةُ الشبه بمعركةِ أُحد ، فكلاهُما كانا مصيبةً ولمرضٍ قلبي ؛ ففي أُحدٍ كان حبُ الدنيا ، وفي حُنَيْن العُجب بالنفس .

(4) الفارق بين أُحد وحُنَيْن :

في أُحد بدأت المعركة بنصر المسلمين ثم حدثت المصيبة ، وفي حُنَيْن بدأت المعركة بمصيبة للمسلمين، ثم حدثَ النصرُ لهم .

صدمةُ حنين أشد من صدمة أُحد ؛ ففي أُحد خالفَ بعض رجالِ الجيش ، وثبت بعضهم ، وقاتل بعضهم حتى الشهادة ، أما هنا فلم يثبتْ من المسلمين إلا قليلاً .

(5) القائدُ المحنك هو الذي يدرك بوضوح إمكانيات من حوله ، يُفرِّق بين الأعمال البسيطة والأعمال الصعبة والأعمال شديدة الصعوبة ، وكلما ازدادت حكمةُ القائد أدرك المستوى الدقيق لكلِّ من حوله ، وبالتالي لا يكلفُ أحدًا من جنودِه فوق طاقتِه (نداء الرسول ﷺ للصحابة رضي الله عنهم) .

(6) الدرسُ الهام : وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ، فالنصرُ ليسَ بالعدد ، ولا بالعدة ، وإنما بنصر ربِّ العالمين .

الجزء الثالث : فقه الواقعُ الإسلامي

نشأةُ العلمانيةِ في مِصر

كانت مصرُ ولايةٌ من ولايات الدولة العثمانية تحكمُها أسرة مُحَّد علي منذ عام[1805م] ، واحتل الإنجليز مصر عام [1882م] ، وصبغوها بالصبغةِ العلمانيةِ الكافرة في أغلبِ مجالاتِ الحياة .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى عام [1914] ـ والتي حاربت الدولة العثمانية فيها ضد إنجلترا ـ سلخت إنجلترا مصرَ من التبعيةِ للدولةِ العثمانيةِ وخلعت على حاكمِ مصر لقب (سلطان) لأولِ مرةٍ لإثباتِ تحررِه من التبعيةِ للسلطانِ العثماني .

في عام [1883م] ـ أي بعد عامٍ واحدٍ من الاحتلالِ الإنجليزي لمصر ـ تم إصدارَ القوانين الوضعية المنقولة أساساً من القانونِ الفرنسي ، للحُكم بها في المحاكمِ المصرية ، وحلَّت القوانين الوضعية محل أحكام الشريعة الإسلامية التي لم يعُد يُطبق منها إلا بعضَ الأحكامِ المتعلقةِ بالأسرةِ (الأحوال الشخصية) .

دفعتْ إنجلترا الطبقة التي اصطنعتها من أبناء مصر لوضعِ دستورٍ علماني يُرسِّخ أُسسَ العلمانيةِ في مصر ، وكان هذا هو أولُ دستور مصري عام [1923] ، والذي يُعتبر أساسَ الدساتيرِ المصرية التي وُضعت بعدَه ، وأساسُ الدساتير في البلادِ العربيةِ التي نقلتْ عنه .

ويتولى رئيسُ الدولةِ والوزراءِ سلُطاتِهم بموجبِ هذا الدستور الذي يُوجب عليهم التزامَ الدستورِ والقانونِ الوضعي المخالفِ لشريعةِ الرحمن ، ويحلف كلٌ منهم هذا اليمين : أُقسمُ باللهِ العظيم أن أحترمَ الدستورَ والقانونَ وأن أحافظَ على استقلالِ الوطنِ وسلامةِ أراضيه أهـ. أي يحلفُ باللهِ العظيمِ أن يُخالفَ شريعةَ ربِ العالمين !!!!

الخطةُ العامةُ لدينِ الإسلام

لاشك أنَّه لإقامة أي دينٍ أو حتى مذهبٍ من المذاهبِ الأرضيةِ ، لابدَّ من وجودِ فكرة يحملها أصحابَ هذا الدين ، ولابدَّ من الدعوةِ إليها ، ولابدَّ من قوة تحمي هذه الفكرة وإلا ضاعت أدراجَ الرياحِ . ولذلك كانت الخطة الإسلامية تشمل :

منهج التغيير : يقوم على مُحورين مُتلازمين (لايُفارق أحدهما الآخر) ، الدعوةُ والجهاد أو يمكنُ القولُ : الجهادُ بالمعنى العام .

الهدفُ والغايةُ : إقامةُ الدولةِ الإسلاميةِ وتطبيقُ الشريعة (الفكرةُ الرئيسيةُ التى قام من أجلِها أصحابُها) .

الجهادُ بالمعنى العام:

قال ابن تيمية رحمهُ الله : الجهادُ حقيقتُهُ الاجتهادُ في حصولِ ما يُحبه الله من الإيمانِ والعملِ الصالحِ، ومن دفع مايُبغضه اللهُ من الكُفرِ والفسوقِ والعصيانِ[14]. وهذا الجهادُ العامُ يشمل :

(1) مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ : عَلَى تَعَلُّمِ أُمُورِ الدِّينِ ثُمَّ عَلَى الْعَمَلِ بِهَا ثُمَّ عَلَى تَعْلِيمِهَا (وهذا يشملُ دعوةَ غيرِ المسلمين إلى الإسلام ، وتعليمَ المسلمين دين الإسلام) ثُمَّ على الصبرِ على مشاقِ الدعوةِ والجهادِ .

(2) مُجَاهَدَةُ الشَّيْطَانِ : عَلَى دَفْعِ مَا يَأْتِي بِهِ مِنْ الشُّبُهَاتِ وَمَا يُزَيِّنُهُ مِنْ الشَّهَوَات . ومجاهدةُ النفسِ والشيطانِ هما ركائزُ الإعدادِ الإيماني للمسلمين ، لاسيما المجاهدين .

(3) جهاد الْفُسَّاقُ (أربابُ الظلمِ والبدعِ والمنكراتِ) فَبِالْيَدِ ثُمَّ اللِّسَانِ ثُمَّ الْقَلْبِ .

(4) (5) مُجَاهَدَةُ الكُفَّار والمنافقين : وهذه تَقَعُ بِالْنفسِ وَالْمَالِ وَاللِّسَانِ .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيْرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيْرًا﴾ (الفرقان : 51 ـ 52) .

فهذه سورة مكية أمرَ اللهُ تعالى نبيَه بجهاد الكُفَّار والمنافقين بالحُجةِ والبيان .

[14](الفتاوى الكبرى : 187/5)

وجهادُ المنافقين أصعبُ من جهادِ الكُفار، وهو أخصُّ باللسان . وأفضلُ الجهادِ قولُ الحقّ مع شدةِ المعارض ، مثل أن تتكلم به عندَ من تخافُ سطوتُه وأذاه .

وجهادُ الكفارِ أخصُ بالمالِ والنفسِ ، ويجبُ أن يكونَ من كلِّ الأُمة (وليس عدداً محدوداً فقط) ، وهو يشملُ مرحلتين :

(1) الإعدادُ للجهاد : مادياً ومعنوياً .

(2) محاربةُ أعداءِ الإسلامِ دفعاً وطلباً ، بقدرِ الاستطاعة .

العلمانية

* هي من أُسس الدولة المدنيةِ الحديثةِ بزعمهم .

* في لغة العرب : العلمانية تعني لا دِينية . وهي إمَّا تحارب الدين في ذاتِه (المتطرفة) أو تدعو لفصلِ الدين عن النظامِ العامِ للحياة (المعتدلة) ، وكلاهما نظامٌ كُفري ، وإن كانت المعتدلةُ أخف . في الدولة الإسلامية : حُكم الشريعة يعُمُ كلَّ شئونِ الحياةِ على مستوى الفرد والمجتمع ، فلا مجالَ للعَلْمانيةِ الخبيثةِ فيه .

* وأنقل لكم بعض نماذج العلمانية ، لكي تعلموا حقيقة مايريدونه بأقوالِهم :

(أ) قال جمال زايدة في جريدة الأهرام تحت عنوان (عُقوبةُ الإعدام) 2007/12/5: "وآخر تصريحات فضيلة الإمام الأكبر ما قاله من أنَّ بقاء عِقوبةِ الإعدام لايتنافى مع حقوق الإنسان... وأنَّ إلغاءَ عِقوبة الإعدام يساوى إلغاءُ حُكمٍ من أحكام الله . وهذا يدفعنا إلى التساؤل : هل نحن نعيش في دولة دينية أو دولة مدنية ، وماهو دور الدين في النِظام السياسى ؟ ...(ثم قال) إلغاءُ عِقوبةِ الإعدامِ اتجاه ينحو إليه العالَم المتحضِر ، والدينُ الاسلامى يدعو للتسامحِ والحُب ، فلماذا نُغالى في تطبيقِ تعاليمه ، ولماذا التركيز على هذا الجانب وإهمال ما يُدعِّم روح الإنسان ويُطلقها فى اتجاهِ الإبداع ... مؤسسة الأزهر لديها دور أعظم... أمامها واجب الاجتهاد ... لا أن يُقدِّمونا للعالم في صورةٍ برابرةٍ تعشق القتلَ والدمَ والعنفَ". أهـ.

(ب) قال عبده مباشر في جريدة الأهرام تحت عنوان (تحريضٌ على الإرهاب) في 2/ 2008/1:

"بدأت عاصِفةُ فِقهِ البداوةِ تضرب مِصر منذ من 50 عاماً ... وهذا الفِكر يعكس جفاف وقسوة الصحراء... وظروفَ أهلها الفِكرية والاجتماعية ونظرتهم الدونية للمرأةِ ... وكانت المرأةُ فى مُقدِّمة اهتمامات هذه القوى فعملت على حِصارها وفرضَ القيود بأنواعها عليها باعتبارها فِتنة من حبائلِ الشيطان ، واستغرقهم الاقتناع بأنَّ الشيطانَ طرفٌ ثالث إذا ما اجتمع رجل وامرأة فى مكان واحد ، وهذه النظرةُ هي النتاج الطبيعى لمجتمعاتٍ تعيش حالةً من التخلُف القاتل وتُطارد المرأة بأكثرِ مما تسعى وراء الأخذ بالعِلم وعوامل التقدم ... وكثيراً ما ينعكس هذا الفهم من مواقف وتصريحات أهل التشدد ، وآخرُها هذا التصريح الذى اتهم فيه أحدُهم الحكومة بتشجيع الزِنا لمجرَّد أنَّ مصرَ استضافت الرئيس الفرنسى ساركوزى وصديقته ... إنَّ مهمةَ الحكومةِ ـ أي حكومة ـ هي رعاية مصالح الوطن والمواطنين واحترام الدِستور، أمَّا الفضيلة والأخلاق فلها مُؤسسات أُخرى تعمل على نشرها وحِمايتها ... فى المجتمعات المتقدمة ... فإنَّ العلاقةَ بين الرجل والمرأة لا تقودُ بالضرورةِ إلى الفِراش ... إنَّ مشاريعَ الزواجِ فى هذا العالم تبدأ بالتعارف بعده يجرى توطيد العلاقة، وفي هذه المرحلةِ قد يُقيم الطرفان معاً ، بعدها تأتى مرحلة توثيق الزواج (ثم انتهى إلى أنَّ هذا التصريح يضُر بالسِياحةِ فى مِصر لأنَّ السَائحين كُلُهم كذلك ، ويُعتبر تحريضاً على الإرهاب)".أهـ.

هل وصلت الرسالة ؟ أرجو ذلك .

والحلُ الإسلامي لتلك المهزلة هو وجوبُ جهادِ الكفارُ والمنافقين بالبيانِ والسِنانِ حتى يكونَ الدينُ كُلُّه لله ، عسى اللهُ أنْ يكفَّ بأسَ الذين كفروا ، واللهُ أشدُ بأساً وأشدُ تنكيلاً .

اللِيبْرَالية

* هي من أسس الدولة المدنية الحديثة بزعمهم .

* في الدولة المدَنيَّه : اللِيبْرَالية مذهب يدعو إلى الحُريَّة المطْلَقَة (بلا أي قيد) ؛ أي يكونُ الإنسانُ حراً في أقواله وأفعاله ومُعتقداته ، أي هو إلهُ نفسِه وعابدٌ لهواه . والليبرالية تدعو في الحقيقة إلى ترك عِبادة الله وحده لاشريك له إلى عِبادةِ الهوى بدعوى الحُريَّة المطْلَقَة . والليبرالية أيضاً تُسوِّي بين

الكُفَّار والمؤمنين وبين الطائعين والعُصاة ؛ بزعمِ أنَّ الجميعَ ينطلقُ من مبدأِ الحُريَّة . وهي تشملُ كلَّ أنواع الحُريَّات :

(1) حُريَّة التدين والاعتقاد : فالإنسان حُر إذا اختار الإلحاد أو الرِدة عن دين الإسلام.

(2) حُريَّة التعبير : يُمكن عندهم أنْ تسخرَ من الرُسل الكرام أو حتى من اللهِ تعالى !! وحاشاهم .

(3) حُريَّة تشكيل الأحزاب : يُمكن قيامُ حزبِ شيوعي مُلحد ، ويجب الاعتراف به. واعطائه مقرٌ رسميٌ ، والسماح له باصدار الجرائد والمجلات ، والعمل على نشر مبادئِه وأفكارِه مهما كانت مُخالِفة لدين الإسلام ، وتمويلِه من خزينةِ الدولة ، بل وتمكينه من المنافسةِ في أي انتخابات .

(4) الحُريَّة الشخصية : مثل الزنا والعُري والشذوذ الجِنسي .

* وفي الدولة الإسلامية : الحُريَّةُ مُقيَّدةٌ بدين الله تعالى ؛ بحيث تكون في دائرة الجائزات والمباحات فقط ، مع ضرورة الالتزام بآداء الفرائض واجتناب المحرَّمات .

نموذجٌ من نماذجِ الليبرالية

نشرت الأخبار أنَّ مصر وليبيا وتونس يوافقون على وثيقة أُممية بعنوان (إلغاء ومنع كافة أشكال العنف ضد النساء والفتيات) ، أصدرتها لجنةُ (وضع المرأة) التابعةُ للأممِ المتحدة .

تعريفُ العنفِ في الوثيقة:

"أي اعتداء ضد المرأة مبني على أساس الجنس ، والذي يتسبب بإحداث إيذاء أو ألم جسدي أو جنسي أو نفسي للمرأة ، ويشملُ أيضًا التهديد بهذا الاعتداء أو الضغط أو الحرمان التعسفي للحريات ، سواء حدث في إطار الحياة العامة أو الخاصة .

ونصت الوثيقة على (نبذ التمييز ضد المرأة ..... ومساواة النوع) .

ونصت الوثيقة على (العنف ضد النساء والبنات لا يمكنُ تبريره بأي عادات أو تقاليد أو اعتبارات دينية) .

والأفعال التي تُعتبر عنفاً أو تمييزاً ضدَّ المرأةِ هي كما يلي :

(1) معاقبةُ الزوجةِ بالضربِ غير المبرح (بعد الوعظ والهجر) .

(2) منعُ المرأةِ من السفر أو العملِ أو الخروجِ دون إذن زوجها سواء كان المانع الدولة أو الزوج نفسه .

(3) قوامةُ الرجل على المرأة .

(4) إيجابُ الحجابِ على المرأةِ من قِبَل أبويها أو زوجِها ، وكذا فتاوى العلماء بأنَّ المحجبة عاصيةٌ لربِها .

(5) حقُّ الرجلِ في التعددِ بخلاف المرأة ، وإلزامُ المرأةِ المتوفى عنها زوجها بالاعتداد في بيتها ، وتوريثُ البنتِ من أبيها على النصف من شقيقِها .

(6) حريةُ البنت في التنقل والسماح لها بالعلاقات الجنسية خارج الزواج ؛ فتصبحُ الزانيةُ أمام المجتمع والدولة كالزوجة ، والأبناءُ الشرعيون كأبناء الزنا ، ولا ولاية للأب على ابنته في ذلك .

(7) منحُ الأبناء حقَّ اختيارِ السلوك الجنسي ، ومن ثم تحضُّ ضمنياً على إباحة اللواط والسحاق ، وإعطاءُ المرأةِ الحقَّ في تغييرِ جنسها .

مطالبٌ للحكومات :

(1) إعطاءُ الزوجةِ الحقُّ في الحماية ضدَّ زوجها إذا جامعها أو باشرها بغير رضاها بوصف ذلك اغتصاباً أو تحرشاً منزلياً .

(2) توفيرُ وسائل منع الحمل الطارئة التي تُعطى بعد ممارسةِ الجنس ، ومنح النساء الحقَّ في التخلص من الحملِ غيرِ المرغوبِ (الإجهاض الآمن) تحت مُسمى الصحة الإنجابية .

الضغوطُ الغربية : أصدر البرلمان الأوروبي بياناً قبل أيام من إقرار الوثيقة ، جاء فيه أنَّ مصرَ لن تحصلَ على مساعداتٍ قبلَ القيامِ بعدةِ إصلاحات ، منها حمايةُ المرأةِ من العنف .

موقفُ الدولة : ضربت رئيسة الوفد المصري ميرفت التلاوي عرض الحائط بفتاوي الأزهر ورابطةِ علماء المسلمين والاتحادِ العالمي لعلماء المسلمين الذين أكدوا أن الوثيقة تخالف الشريعة الإسلامية ، وأصرت على الموافقة على الوثيقة .

التبريراتُ المعتادة : قالوا إنَّ الوثيقة غير إلزامية ، وهذا صحيح ، فما الذي منع مصر من رفضِ الوثيقةِ الداعيةِ إلى هذا الفجورِ والكفر ؟

وأنقل لكم المادة (93) فى دستور 2013 :
"تلتزمُ الدولة بالاتفاقيات والعهود والمواثيق الدولية لحقوقِ الإنسان التي تُصدِّق عليها مِصر، وتُصبحُ لها قوة القانون بعد نشرها وفقاً للأوضاعِ المقررة ".أهـ.
فهل أدركتم الطوفانَ الذي يُحيطُ بالأمة ؟
وأُكررُ أنَّ الحلُ الإسلامي لتلك المهزلة: هو وجوبُ جهادِ الكفارُ والمنافقين بالبيانِ والسِنانِ حتى يكونَ الدينُ كُلُّه لله ، عسى اللهُ أنْ يكفَّ بأسَ الذين كفروا ، واللهُ أشدُ بأساً وأشدُ تنكيلاً .

الدِّيمُقراطية

* هي من أُسسِ الدولةِ المدنيةِ الحديثةِ بزعمهم .
* في الدولة المدَنيَّة : نظامُ الحُكمِ دِيمقراطي ، وهذا يعني حُكم الشَعْبِ نفسِه بنفسِه ، أي حقُ الشَعْبِ أن يُشرّع لنفسِه بنفسِه القوانينَ التي تتفقُ مع مصالحِه وأهوائِه ، فالمرجعية التشريعية فيها للبشر (أغلبية الشعب أو مجلس الشعب) .
* وفي الدولة الإسلامية : لا مجالَ للدِّيمُقراطية من حيثُ الأصل والأساس ، فالمرجعية التشريعية فيها لله عز وجل . ومن هنا فالنظامان متناقضان تماماً ، ولايُغيِّر من تلك الحقيقة وجودُ بعض مباديءِ الديمقراطيةِ لا تتعارضُ مع الإسلام .

والخُلاصةُ : النظام الإسلامي ليس ديمقراطياً كما أنَّه ليس ثيوقراطياً .

* **الفرقُ بين الدِّيمُقراطية الغربية والشورى الإسلامية** :

الفرق الجوهري أنَّ الدِّيمُقراطية تُشرّع القوانين الوضعية في أي أمرٍ من الأمورِ بأغلبيةِ رأي الشَعْب دونَ أي مرجعيةٍ دينية . أمَّا الشورى فهي طريقة إسلامية لتنفيذِ شَرْعِ الله ، وتكونَ بإعمال الفِكر في الأمور الجائزاتِ والمباحاتِ فقط ، وفقاً لدينِ اللهِ تعالى ، وأخذِ رأي الآخرين فيها .
وأُكرر أيضاً : الحلُ الإسلامي لتلك المهزلة ، هو وجوبُ جهادِ الكفارُ والمنافقين بالبيان والسِنان حتى يكونَ الدينُ كُلُّه لله ، عسى اللهُ أنْ يكفَّ بأسَ الذين كفروا ، والله أشدُ بأساً وأشدُ تنكيلاً .

نماذجٌ من الكُتابِ الليبراليين .

(1) نجيب محفوظ : كتب روايه بعنوان (موتُ الإله) ، وهي تُوزع مُترجمةً على مُستوى العالم كله ، ويبدو أنَّهم استحوا من هذا الاسم فغيَّروه إلى (أولاد حارتنا) ، لتكونَ أخفُ وطأة على عوام الناس. إنَّه يستعمل الرموز ويتشككُ في وجودِ الله تعالى ويسخرُ من أنبيائه ، ويُقرر فى النهاية أنَّ العِلم هو الذى سيقضى على أسطورةِ الدين.أهـ. ولقد اعترض عليها الأزهرُ الشريف في حِينها ، ومنعَها من النشرِ والتداولِ . والآن يحاول ذيولُ العَلْمانيين إعادة نشرِها تحت دعوى أنَّ الأزهر لا يحق له أن يُصادِر حُريَّةَ الرأي !! أقصدُ حُريَّة الكُفر . وهكذا با ع دينه بثمن بخس دراهم معدودة : (جائزةُ نوبل للأدب التى يقف وراءَها أكابرُ اليهودِ والنصارى مع غايةِ الاحتفالِ والتكريمِ في بلادِ المسلمين ، وللأسفِ الشديد) ، فهل من مُتدبِّر؟

(2) توفيقُ الحكيم . كتب رواية بعنوان (الشهيد) ، أتدرون من هو الشهيد الذى يقصده ؟ إنَّه الشيطانُ الذي تلاعب بعقله ، وتخيله الكاتبُ الفذُّ يطلبُ التوبةَ من بابا الفاتيكان فيرفضُ ، ثم من حاخام اليهود فيرفضُ أيضاً ، ثم من شيخ الأزهر ثالثاً ، فلا تُقبل توبته على أساس أنَّ المِلة الإسلامية قائمةٌ على لعنِه والاستعاذةِ منه ، فكيف يتوبُ إذن ؟ فيذهب الشيطان رابعاً إلى جبريل عليه السلام طالباً التوبة ، فلا تُقبلُ توبتُه . فيصرخُ الشيطان : (أنا شهيد ـ أنا شهيد). أهـ.

أخبرني بربك ماذا تفهمُ من هذا العبث الذى يُسمُّونه أدباً وفِكراً ، والذي استباحوا فيه الحديثَ عن ذاتِ الله تعالى وملائكتِة بهذه الطريقةِ الوقِحةِ ؟ تُرى هل يريدون منَّا أنَّ نفهم أنَّ الشيطانَ مَظلومٌ وأنَّ الذي ظَلَمَه هو الحقُّ جل وعلا ؟! كبرتْ كلمةٌ تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلاَّ كذِباً .

(3) يوسف السباعي . كتبَ روايةَ بعنوان (نائب عزرائيل) ، وهو يصف فيها نفسه أنّه مُدمِن عِشق ومُحترِف هوى ، ويصف فِسقه وفجُوره مع النساء ، ويصفُ الدنيا بأنَّها لا فائدة فيها ، وأنَّ المظلومَ الوحيدَ فيها هو الإنسان لأنَّه لا يرى حِكمة في تحريم النساء عليه في الدنيا ، على أن يُعطى عِوضاً عن ذلك الحُور العين في الجنة !! وتراه يصفُ مَلَك الموت عليه السلام بأقبحِ الصفات مثل : عاشق ولهان ـ عنده موعد غرامي مع حُورية من الجَنَّة ـ حضر من عند عَشيقته مُلطَّخاً بأحمرِ الشفاة ـ مُرتمياً فى أحضان عَشيقته ... وتراه يسُبُّ مَلَكَ الموت عليه السلام بمثلِ تلك الكلمات :

غبي ـ مُزوّر ـ نحس... وتراه يعترض على عملِ مَلَكِ الموت زاعماً أنَّه عملٌ طائش بِلا حِكمة ، حيث يتركُ روحَ الكبير ويأخذ روحَ الصغير. أهـ.

نبئونى بعلمٍ إن كنتم صادقين : هل يجوزُ الحديثُ عن ملائكةِ الرحمنِ بمثل هذه الجَهالات والقاذورات؟ أليس الإيمانُ بالملائكة يقتضى تَوقيرَهم وتَعظيمَهم ؟ أليس الاعتراضُ على مَلَكِ الموتِ هو اعتراضٌ على اللهِ جلَّ وعلا ؟ هؤلاء هم القُدوة ، فكيف المقتدون ؟! والعجيبُ حقاً أن يحدثَ هذا من بنى جلدتنا وممن يدينون بدِيننا ويتكلمون بألسنتا ويتبوأون أعلى المناصب ، ويُشارُ إليهم بالبَنان !! فهل المطلوبُ أن يُفخَّم ويُعظَّم شأنُ هؤلاء الكُتَّاب حتى يكونوا قادةً للرأى والفِكر ، ومن ثَمَّ يبُثون سُمومَهم القاتلةَ فى عوامِ الناس بسهولةٍ ويُسر ؟!

وصدق من قال :

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتبِ   في حدِه الحدُ بين الجدِ واللعبِ

المُواطنة

* من أُسس الدولة المدنية الحديثة بزعمهم .

* في الدولة المدَنيَّه : الرابطةُ الأساسية بين القاطنين في الدولة هي المواطنة ، وهي صيغة للتجمعِ بينهم ، لأنَّ الوطنَ يشملُ غالباً أدياناً متعددة ، فيُمكِن التعايش السِّلمي بين الأديانِ على زعمِهم .

وهي من الناحيةِ القانونية : الاعترافُ بالفردِ كمُواطنٍ في دولة مُعينة ، وأهليتِه لحمل جنسيتِها وِفقَ شروطٍ مُعينة تضعها تلك الدولة ، وهي حقٌ لكل مُواطن توافرت فيه شروطُها بغضِّ النظرِ عن دينِه أو عِرقِه .

ـ جاء في المادة (40) من دستور1971 : المواطنون لدى القانونِ سواء ، وهم مُتساوون في الحقوق والواجبات العامة ، لا تمييزَ بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدِّين أو العقيدة. أهـ.

ـ والمواطنةُ أساسٌ لاكتسابِ الحقوقِ الأُخرى مثل المساواة التامة بين الأفراد . فمثلاً اشترطتْ الدولة المِدَنيَّه لتولي رئاسةِ الجمهوريةِ : التمتعُ بصفةِ المواطنة ، سواء كان رجلاً أم امرأة ، مُسلماً أم كافراً ، تقياً أم فاسقاً .

ـ ولتوضيح معنى المواطنة :

مثال (1) المسلم الصيني يُعامل معاملةَ الأجنبي في مِصر ؛ من ضرورةِ الحصولِ على إقامةِ ، وضرورةِ تجديدِها كُل فترة معينة مُقابل مبلغ مُعيَّن ، وإلاَّ يُطرد خارج البلاد ، بخلاف المسيحي المصري لأنَّ الأخيرَ يعيشُ داخلَ الوطن .

مثال (2) عندما استهزأ الغرب الصَلِيبِي برسول الله ﷺ قال أحدُ العَلْمَانيين : الرسولُ ليس مواطناً مصرياً كي تُدافع عنه السفارة المصرية !!

* في الدولة الإسلامية : الرابطةُ الأساسية التي تجمعُ الناسَ هي الانتماءُ للدين ، قال تعالى : ﴿إنَّما المؤمنون إخوة﴾ (الحجرات 10) ، وينعقدُ الولاءُ والبراءُ (أي الحب والبُغض) على تلك الرابطة لأنَّ دعوةَ الإسلام دعوةٌ عالميةٌ لاتتقيد بِعِرقٍ أو أرضٍ أو لون ، مع وجود نِظام لحفظ حقوقِ أصحابِ المِللِ الأُخرى .

* إنَّ الدِّين لا يدعو إلى كراهيةِ الوطنِ أو القبيلةِ ، ولكنَّه يجعل الرابطة الأولى هي الدِّين بحيث لو تعارضت تلك الرابطة مع الروابط الأخرى ، يُقدَّم الدِّين على ماسواه . مثال : مَكة كانت أحبُ البلادِ إلى رسولِ الله ﷺ ، ومع ذلك قَاتلَ أهلَه وعشيرتَه لما حاربوا الإسلام .

* إنَّ الدِّين يُقرِّر بأنَّ هناك أمورٌ يختلف فيها المسلم عن غيرِ المسلم ، والرجالُ عن النساء . مثال : اشترط الإسلام لتولي الولاية العامة : الإسلام والذكورة والعدالة .

وأهلُ الكتاب من اليهود والنصارى لهم ضوابطٌ خاصةٌ مثل دفعِ الجزيةِ ، وعهودِ الذمة التي تضمن لهم الأمان التام على أموالِهم وكنائسِهم ومنازلِهم ، وتضمنُ لهم حُرِّيةَ مُمارسةِ عقائدِهم مُقابل الوفاء بالشروطِ الموجودةِ في تلك العهودِ .

وصدق من قال : القولُ قولُ الصوارم كي تُستردَ المظالم

أسبابُ سقوط الخِلافة الإسلامية ـ العواملُ الداخلية ـ دورُ المنافقين (دعاةُ الدولةِ المدنيةِ الحديثة):

عرضَ الكماليون (أتباعُ مصطفى كمال الدين أتاتورك) فصلَ الدينِ عن الدولة على المجلس الوطني التركي ، وكانت هذه الخطوةُ من أهم العواملِ التي أنهت الخِلافة الإسلامية تماماً . ولما وجد المجرم الخائن مُصطفى أتاتورك مُعارضة لاقتراحه تدخل لفرض اقتراحِه بالقوة ، فقال : إنَّ السُلطة يجب أن تُفصلَ عن الخِلافة وتُلغى ، وسواء وافقتم أو لم توافقوا فسوف يحدثُ كلُ هذا ، كلُ ما في الأَمر أنَّ بعضَ رؤوسِكم سوف

تسقطُ في غضون ذلك أهـ. (أرمسترونج ـ مُصطفى كمال ـ ترجمة حلمي مراد ـ ص 192 ـ 193).

وقال أيضاً في افتتاح مَجلسِ الشعبِ عقبَ إعلانِ الجمهوريةِ : نحنُ الآن في القرنِ العشرين ولا نستطيعُ أن نسيرَ وراءَ كتابٍ يبحثُ في التينِ والزيتونِ أهـ. فصفَّقت له يهودُ الدونمة (طائفة يهودية كانت تعيش في تركيا) مؤيدين وقائلين : سلَّمنا البلادَ لأتاتورك ، وتركنا الكعبةَ للعرب أهـ. (الماسونية فى العراء ـ مُحَمَّد على الزغبي ـ ص 221) .

وكتبتْ الجرائدُ التركيةُ آنذاك أنَّ القصدَ هو: دولةٌ عصريةٌ لا دينية ، مُقلِّدين ما فعلته الثورة الفرنسية بالفصلِ بين الحكومةِ والكَنيسة أهـ. (نِظامُ الخِلافة بين السُنَّة والشيعة ـ مُصطفى حلمى ـ ص 299) .

وقال بعضُهم : إنَّنا عزمنا على أن نأخذَ كل ماعندَ الغربيين حتى الالتهابات التي في رئاهم والنجاسات التي في أمعائهم أهـ. (الغزو الفِكرى والتيارات المعادِية للإسلام . د/ عبد الستار فتح الله ـ ص 112) .

إنَّ قرارَ فصلِ السُلطة عن الخِلافة هو في حقيقتِه تجريدٌ للحكومةِ من الدينِ وتحلُلِها من أحكَامِه . إنَّ الخِلافة عبارة عن سُلطة دينية ، فإذا كان الحُكم : سُلطةٌ بلا دين أو دينٌ بلا سُلطة ، فلا تُسمى خِلافةٌ أصلاً . إنَّ هذا القرار طبعَ الخِلافة بطابعِ الروحانية فقط وحصرها في مسائلِ العبادةِ والأحوالِ الشخصيةِ فقط ، وهذه صورة لم تعرفْها الخِلافة من قبل . ولقد أعقب هذا القرار بعد فترة

وجيزة : قرارُ إلغاءِ الخِلافة وإعلانِ الجمهوريةِ وطردِ الخليفةِ وأهلِه من تركيا .

فهل وصلت الرسالة واستوعبتم الدرس ؟ نعم وصلت الرسالة واستوعبنا الدرس .

الواقع الإسلامي : أسبابُ سقوطِ الخِلافة الإسلامية ــ العواملُ الخارجية

لم يتوقفْ الأعداء يوماً عن الكيدِ للإسلام .

(1) المؤامرات الخارجية : اجتمعت قوى الشر العالمي للقضاءِ على الخِلافة الإسلامية : القوى الصليبية (في صورة مُبشِّرين ومُستشرقين ومؤسسات ثقافية ومؤتمرات) والقوى الاستعمارية (في صورة أساطيل وجيوش وحروب وعملاء) والقوى الصهيونية (التي تآمرت لإنشاء وطن قومي لليهودِ في فلسطين) . ولقدْ عمدَ كلُ هؤلاءِ أيضاً إلى تشويهِ صورةِ الخِلافةِ بإطلاقِ وصفِ الرجلِ المريضِ عليها ، وتشويهِ سُمعةِ رجالِ الدولةِ العثمانيةِ كذلك ، لتمهيدَ الرأيِ العامِ لفِكرةِ التخلصِ من الكيانِ المريضِ واستبدالِه بكيانٍ آخرٍ قوي .

(2) الأحزابُ الداخلية : استعملت القوى المعادية بعض الأحزاب الداخلية المنتسبة للإسلامِ في هدمِ الصرحِ من داخله ، مثل حِزب الاتحادِ والترقي وحِزب الكماليين من بعدهم (أتباع كمال الدين أتاتورك). وقامت تلك القوى بتقديمِ العون المالي والسياسي والإعلامي والتخطيطي لأفراد هذه الجماعة لتمارسَ نشاطَها ضد السُلطانِ عبد الحميد . ومن ناحيةٍ أخرى قاموا بتلميعِ صورةِ العملاءِ وإضفاءِ بطولات زائفة عليهم وإظهارِهم بمظهر المدافعين عن الإسلام والمجاهدين في سبيل الله ، على الرغم من قُبحِ سيرتِهم وعمالتهم الواضحة للقوى الاستعمارية ، وذلك استعداداً لتسلُّمِهم مقاليدِ الأمورِ في تركيا ، ومن أمثال هؤلاء : الكذَّاب الأشر مُصطفى كمال الدين أتاتورك . واستمرَ الأَمرُ كذلك حتى وصلوا إلى الحُكم . وكان أول ما فعلوه : عزل السُلطان عبد الحميد ووضعوا محله سلاطين ضعفاء ، الذين كانوا أُلعوبةً في يد الأحزاب المذكورة .

(3) إثارةُ الأقلّياتِ غير المسلمة التي كانت تعيش في ظل الخِلافة العثمانية على التمردِ والمطالبة بالحُكم الذاتي حتى يكون ذلك ذريعة لتدخلِ الدولِ الأوربيةِ لإنقاذِهم .

(4) بعثُ القوميات : اتجه الغرب المسيحي إلى ضربِ الوحدةِ الإسلامية بإيجاد البديل عن الخِلافة

الإسلامية التي تجمعهم ، وذلك بإحياءِ القوميات المحلية والإقليمية للحيلولة دون تجمع المسلمين ، ومثالُ لذلك : القومية التركية (الطورانية) والقومية العربية ، والقومية الفرعونية فى مصر . ولم يقصدوا بإحياء القوميات أن يُحبَّ الإنسان وطنه وقومه ويهتم بهما ، فهذا لا حَرج فيه ، وإنَّما قصدوا أن يُصبحَ الولاء الأول للأرض أو الجنس أو القوم فتُقَّدم هذه الرابطة على الرابطةِ الدينية الإسلامية . وأيضاً قد شجعوا دعاة القوميات المختلفة على التمردِ على الخِلافة العثمانية ، ومثالُ ذلك : خروج الشريف حسين وأبنائِه (قادة الثورة العربية) على الدولةِ التركيةِ لقاء وعدٍ من الدولِ الغربية بمساعدته على إنشاء دولة عربية مُتحدة (تشمل شبه جزيرة العرب وسوريا والعراق والأردن وفلسطين) وتنصيبُه مَلكاً عليها . ونتيجةً لهذا الوعد ، خرجوا على الدولة التركية وظلوا يساعدون إنجلترا وفرنسا في جهودِهما لإنزال الهزيمة بالدولة العثمانية (تباشير النهضة فى العالم الإسلامى . د/ مُحَّد ضياء الدين ص 19) . ولقد صار هذا الوعد ـ كما كان متوقعاً ـ سراباً يحسبه الظمآن ماء .

(5) اتساعُ رقعةِ الدولة الإسلامية : كان هذا الاتساعُ فضلاً من اللهِ ونعمة بسبب وجود رابطة العقيدة التي جمعت قومياتٍ شتى وصهرتها في بوتقةِ الإسلام ، ولكن لما قَضى أعداء الدين على هذه الرابطة في نفوسِ أهلها ، انقلب ذلك الاتساع عِبئاً على الدولة ، لأنَّ إعلان حركاتِ التمرد كان سهلاً يسيراً ، بينما كان القضاءُ عليها صعباً عسيراً .

(6) الحركاتُ الانفصالية : شجَّعت اليهودية والصليبة العالمية حركاتَ التمرد على الانفصال عن الدولة العثمانية ، مثل استقلال مُحَّد علي بمصر والسودان والشام وجزء من الجزيرة العربية ، فكلُ هذه الثورات أنهكت الدولة وكلَّفتها مبالغ طائلة وأدت إلى تراجعِ حدود الدولة .

(7) الحروبُ الصليبية : لم تتوقف الحروب الصليبية مع الدولة العثمانية منذ نشأتها وحتى انهيارها ، مثل احتلال الإنجليز مصر وعدن والعراق والأردن وفلسطين ، واحتلال فرنسا لبلاد الشام ، واحتلال إيطاليا لليبيا .

(8) الامتيازاتُ الأجنبية : وكانت هذه الامتيازات من أقوى أسباب تدخل الدول الأوربية في الشئون الداخلية للدولة العثمانية وتوجيهها لما يخدمُ مصالحَها ، ثم اتخذتْها ذريعةً للتدخلِ لحمايةِ رعاياها . فطلبتْ كلُّ طائفةٍ من الأجانب امتيازاتٌ خاصةٌ بها ، مثلُ محاكمةِ رعاياها في سفاراتها ،

وليس في المحاكمِ العثمانية .

(9) تضخم الديونُ الأجنبية ، بسببِ الإسراف والبذخ الشديدين اللذين عاش فيهما السلاطين ، وأيضاً لنفقاتِ الحروبِ وحملاتِ قمعِ حركاتِ التمرد . ولقد زادت هذه الديون حتى أنَّ فوائدَها الرِبوية أصبحت أكبرَ من قيمةِ الديونِ نفسها ، وكانت سبباً للتدخلِ الأجنبي .

فهل وصلت الرسالة واستوعبتم الدرس ؟ نعم وصلت الرسالة واستوعبنا الدرس .

كيفيةُ سقوطِ الخِلافةِ الإسلامية:

أولاً : دورُ يهودِ الدونمةِ

هم طائفةٌ يهوديةٌ كانت تعيشُ في بلاد الأندلس أيامَ حُكم المسلمين لها ثم فرُّوا منها بعد سقوطِها في أيدي الصليبيين الأسبان ولجأوا إلى الدولة العثمانية للنجاةِ بحياتهم ، وتظاهروا باعتناق الإسلام وأبطنوا اليهوديةَ في داخلِهم ، وأقامت غالبيتُهم في مدينةِ سالونيك باليونان التي كانت ولاية عثمانية في ذلك الوقت . ولقد كان لهذه الطائفةُ دورٌ كبيرٌ في إسقاطِ الخِلافة :

(أ) هدمُ القيم الإسلامية في المجتمع بنشر الإلحاد والأفكار الغربية المسمومة في عقول المسلمين وبالدعوة لهتكِ حجاب المرأة المسلمة واختلاطها بالرجال ، عن طريقِ دورِ الطباعة والنشر التابعة لهم.

(ب) إذكاءُ نارِ العداءِ للسُلطانِ عبد الحميد الثاني وتدعيمُ حركاتِ التمردِ والثورات المسلحة ضده .

(ج) تسميمُ أفكارِ الضباط الأتراك الشبان ونشرُ الشِقاق والتمردِ بين صفوفِ الجيش .

(د) تحريكُ قوى الثورةِ من سالونيك في اليونان إلى العاصمة لعزلِ السلطان .

(هـ) السيطرةُ على البنوكِ والمصارفِ المالية والتغلغلُ في الاقتصادِ والتجارة وكلِ مَناحي الحياة في الدولة .

ثانياً : دورُ جمعيةِ الاتحادِ والترقي

تأسست مُنظَّمة عسكرية تحت مُسمَّى (الاتحادُ العثماني) بهدف مقاومة السُلطان وتحويلِ الدولة إلى النموذج الغربي ، كما تأسستْ مُنظَّمة مدنية تحت مُسمَّى (الانتظام والترقي) لنفس الهدف ثم اتفقتا على وحدةِ العمل بينهما ضد السُلطان ، تحت مُسمَّى (الاتحاد والترقي): تغلغلوا في وحداتِ الجيش وبين موظفي الدولة من المدنيين ونجحوا في العملِ ضد:

(أ) السُلطان .

(ب) قاموا بالدعوةِ إلى الانسلاخِ من الإسلامِ وإثارةِ النزعةِ القوميةِ التركيةِ الطورانية (أي وطن التُركِ الأصلي في جبالِ طوران ـ شرق إيران) ، وكانت هذه النزعةُ تهدف إلى تمجيد العُنصرِ التركي على غيره باعتباره أعرق الأُمم حضارةً ، رغبةً في تفتيتِ الدولة العثمانية وعزلِ تركيا عن بقيةِ جسدِ الإمبرطوريةِ الإسلامية .

(ج) قاموا بإحياءِ العقائدِ التركيةِ القديمةِ مثل الوثن التركي المسمى بالذئبِ الأغبر ، الذي اتخذوه رمزاً لهم ، ووضعوا له الأناشيدَ وألزموا الجيشَ أنْ يصطفَّ لإنشادِها عند الغروبِ أي جعلوها محل الصلاة .

(د) نادوا بمفاهيم أوربية مثل الحُريَّةُ والدِستورُ المدني ومحاربةُ الاستبداد ، أملاً في الإطاحة بالسُلطان وإلغاءِ الخِلافة والقضاءِ على الدولةِ العثمانية .

(هـ) التحركُ الشيطاني : قاموا بتدبيرِ مظاهراتٍ صاخبةٍ في المدنِ التركيةِ مُطالبةً بإعادة إحياء الدِستور المدني الذي كان قد أمرَ السلطانُ سابقاً بإيقافه ، وهددتْ بالزحفِ إلى العاصمة في حالةِ رفضِه ، فرضخَ السُلطانُ لمطالبِها . وبذلك حققت الجمعية انتصاراً كبيراً على السُلطان إلا أنَّها لم تجرؤ على خلعِه . ولقد قاموا بعد ذلك بافتعالِ أحداثٍ ومُشاحنات في العاصمة ، قُتلَ فيها عددٌ من أفرادِ الجمعيةِ ، وعلى إثرها اتهمتْ السُلطانَ بأنَّه المدبِّر لتلك الأحداثِ ، فتحركت قواتها العسكرية من مدينة سالونيك باليونان ودخلت الأستانةَ (العاصمة) وقامت بعزلِ السُلطان عبد الحميد من جميعِ سُلُطاته المدنية والعسكرية .

ثالثاً : دورُ حكومةِ الاتحادِ والترقي

تولى الخِلافةُ بعد السُلطان عبد الحميد مجموعةٌ من السلاطين الضِعاف ، بينما أصبحت السُلطةُ الفعلية في البلاد في يد جمعية الاتحاد والترقي التي شكَّلت حكومة لتسيير البلاد ، فقامت بما يلي :

(أ) تطبيقُ سياسةِ التتريك أي العودةُ بالبلادِ إلى القوميةِ التُركية الطورانية ، فجعلت اللغةَ التركية هي اللغةُ الرسميةُ الوحيدةُ بعد أن كانت معها اللغة العربية ، مما أدَّى إلى اشتعال الدعوة إلى القوميةِ العربيةِ في الولاياتِ العربيةِ لمواجهةِ حركةِ القوميةِ الطورانيةِ ، وكذلك الدعوة إلى استقلالِ الولاياتِ العربيةِ عن الدولةِ العثمانية .

(ب) دفعت تركيا إلى الدخول في الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور (ألمانيا والنمسا) ضد الحُلفاء (بريطانيا وفرنسا وروسيا) الذين دفعوا العرب إلى الدخول إلى جانبهم ، فوقع صدامٌ بين العربِ والتركِ ، وتعاظمت فِكرة القوميات المختلفة (العربية والتركية) ، وانتهت الحرب بهزيمةِ دول المحور ومعها تركيا ، فقام الحُلفاء ومعهم اليونان (التي كانت ولاية عثمانية) باحتلالِ أجزاءِ من أراضي الدولةِ التركية ، وأصبح الخليفةُ بمقامِ الأسيرِ لديهم ، وأصبح الحُلفاء هم أصحابُ السيادةِ الفعلية في تركيا . إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد .

رابعاً : دورُ التحالفِ الصليبي اليهودي الماسوني العالمي :

بدأ هذا التحالف يكشفُ عن وجهه القبيح ويجني ثمار مُخططاته ومؤامراته بعد الضرباتِ المتلاحقةِ للدولةِ العثمانيةِ عبرَ المراحلِ الآتية :

المرحلة الأولى : تقسيمُ العالم الإسلامي الخاضع للدولة العثمانية (وعلى رأسه الدول العربية) بين الحُلفاء الذين كانوا قد خدعوا العربَ ووعدوهم بالاستقلال إنْ دخلوا الحرب إلى جانبهم ضد الدولة العثمانية ، وقد تم ذلك باتفاقية سايكس بيكو (1916 م) التي تنص على :

(أ) انجلترا تحتل العراق والأردن ومصر.

(ب) فرنسا تحتل سوريا ولبنان وبلاد المغرب العربي: تونس والجزائر والمغرب.

(ج) روسيا تحتل الأستانة (عاصمة الدولة) ومضيقا البوسفوروالدردنيل.

(د) فلسطين تكون دولية تحت الانتداب البريطاني ، تمهيداً لتسليمها لليهود .

المرحلة الثانية : إصدارُ بريطانيا وعد بِلفور (1917م) الذي وعدَ اليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين .

المرحلة الثالثة : غزو تركيا بأبشعِ حركةِ تغريبٍ وتدميرٍ للقيمِ الإسلاميةِ وإعلان حرب شعواء على كل مايتَّصل بالإسلام .

المرحلة الرابعة : إلغاء الخِلافة والقضاء على دولة الإسلام .

اعتمد مخططُهم على اصطناع بطل قومي من داخل تركيا ليتصدى لتلك الكارثةِ التي حلَّت بالأُمَّة ، فيُشعِلُ روحَ المقاومةِ بين الأتراك ويقودُهم ضد الجيوش الغازية وينجح في طردِ المحتلين من البلاد ، فيبزغ نجمه وتلتف حوله الأُمَّة وتضع في يده مصيرَها ، وعندما يصبح في أوجِّ قوته ينقلبُ عليها وينقضُ على ماتبقى منها ليُجهِز عليها .

المخططُ الأول : اختيارُ البطلِ وصناعتُه بواسطةِ المخابرات

وهو مُصطفى علي رضا المعروف باسم مُصطفى كمال أتاتورك أي أبو الأتراك ، الذي كان ضابطاً بالجيش التركي وانضم إلى جمعيةِ الاتحاد والترقي وسرعان ماأصبحَ زعيمها ، فماذا فعل البطل المزعوم؟ أشعل روحَ الجهاد بين الأتراك ورفع القرآن على أسنَّة البنادق فهزم اليونانيين وأجلاهُم عن كلِّ الأراضي التي احتلوها في تركيا ثم تراجعت أمامه قوات الحُلفاء دون قتالٍ ، فظهر على السطح كبطلٍ للجهاد وكمُحررٍ للدولة التُركية من الاحتلال ، وتم ترقيته إلى جنرال ثم إلى مارشال ، وأُطلق عليه لقب الغازي ، ومدحَه الشعراءُ وأشاد به الخُطباء ، وأصبح في نظر الأُمَّة الإسلامية بطلاً مُجاهداً استعاد مجدَ الخِلافة الذي ضيعه الخليفة العثماني الضعيف آنذاك ومرَّغه تحتَ أقدامِ المحتلين، وبالفعل وثقتْ الأُمَّة بالبطلِ وأسلمتْهُ قيادَها .

المخطط الثاني : انكشافُ البطلِ وانقلابُه على الأُمة

كان أتاتورك من أشدِّ الناسِ عداوةً لرسول الله ﷺ فقد كان في فندق بارك ، وكان المؤذنُ يؤذن في المسجد الصغير الكائن أمام الفندقِ مباشرة فيلتفت أتاتورك لمن حوله قائلاً : من قال بأننا

مشهورون ، وما شهرتُنا نحن ؟ انظروا إلى هذا الرجل (يعنى الرسول ﷺ) وكيف أنه وضعَ اسماً وشهرة بحيثُ أنَّ اسمه يتكرر في كلِ لحظة في جميع أنحاء العالم ، فلتُهدم هذه المنارة .

انجازات كمال أتاتورك في حُكم تركيا :

أولاً : اجراءات عامة :

(1) تغيير العاصمة ، فأصبحت أنقرة عاصمةُ الدولة التركية الحديثة بدلاً من استانبول عاصمةُ الخِلافةِ الإسلاميةِ .

(2) اعلانُ قيامِ الجمهوريةِ في تركيا وانتخابُ مُصطفى كمال أولَ رئيس لها ، وبذلك تمت الخطوة الأولى لإلغاء الخِلافة وهي فصلُها عن السُلطة وِفقاً للمَذهب العَلْماني الخَبيث .

(3) التظاهرُ بالاحتفاظ بالخِلافة وتعيين السُلطان عبد المجيد الثاني (آخر سلاطين الدولة العثمانية) شكلياً فقط ، حتى لايُثيرُ غضبَ العالم الإسلامي حينذاك .

ثانياً : حُكمُ البلادِ بالحديدِ والنارِ . أعدم المئات وسجنَ الألوف من المعارضين وهجمَ بشكل صريح ومُباغت على كلِ مظاهرِ الإسلام .

ثالثاً : فرضُ معاهدة لوزان . فرضت انجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان تلك المعاهدة ، وقبلتها تركيا ، وتضمنت أربعةَ شروط (1) إلغاءُ الخِلافة الإسلامية (2) إخراجُ الخليفة عبد المجيد الثاني من البلاد كآخرِ خليفةٍ للمُسلمين (3) قطعُ كل صِلةٍ لتركيا بالإسلام (4) اتخاذُ دستورٍ مَدني بدلاً من الدِستورِ الإسلامي .

رابعاً : تغييرُ الهوية الإسلامية : مَنعَ الآذان من المساجد ـ منعَ الحجابَ في تركيا ـ شطبَ من اسمه كلمة (مصطفى) ـ أَلغى الاحتفال بعيدِ الفطر وعيدِ الأضحى ـ جعل الأحدَ أجازة اسبوعية بدلاً من الجمعة ـ ألغى الحروف العربية من اللغة ـ أوصى قبل موته بألا يُصلى عليه .

وبذلك نجح هذا المجرمِ فيما عجزَ عنه المغول ، وحققَ أكبرَ حُلم لأعداءِ الإسلامِ في العصرِ الحديث . لقد كان في قصصِهم عبرةً ، لأولي الألباب .

آثارُ سقوطِ الخِلافةِ الإسلامية

مدحُ أكابرِ المُجرمين

تقول دائرة المعارف الماسونية : إنَّ الانقلابَ التركي الذي قام به الأخ العظيم مُصطفى كمال أتاتورك أفاد الأُمَّة كثيراً ... فقد أَسقط السلطنة وأَلغى الخِلافة وأَبطل المحاكم الشرعية وأَلغى دينَ الدولة الإسلام ... وهذا هو الإصلاح الذي تتبعه الماسونية في كل أُمَّةٍ ناهضة فمنْ يُماثلُ أتاتورك من رجالِ الماسون سابقاً ولاحقاً ؟. أهـ.

حزنٌ وغضبٌ في العالمِ الإسلامي

* ولقد عمَّ الحزنُ والاستياءُ كلَّ العالمِ الإسلامي ، وصبَّ عليه الشُعراء والكُتَّاب جام غضبهم ، ولكن لم ينفعْ شيءٌ من هذا كله . ورغم البطش والتنكيل المروعين لم يستسلم المسلمون المخلصون ، فقاموا بِعدَّةِ ثوراتٍ مسلحة ضد ذلك الطاغية ، ولكنها قُمعت بقسوةٍ بالغة وأُعدم فيها خِيرة العُلماء والمجاهدين رمياً بالرصاص أو تعليقاً على أعواد المشانق . أمَّا العَلْمانيون والمنافقون فقد قاموا بالترويجِ لهذه الرِدَّة بادِّعاء التحضر والتمدن والتنوير، وشجَّعوه على البطشِ بأي مُعارضةٍ إسلامية ، والزعمُ بأنَّ ما يقوم به من مذابح ضد المسلمين ليست سوى معارك بطولية ، واتخذوه قدوةً ومثالاً يُحتذى لكثيرٍ من الحُكَّامِ العربِ والمسلمين .

الخاتمةُ السوء :

* كان أتاتورك شديدَ الخوف على نفسه لذلك فقد أحاط نفسَه بكبارِ الأطباء ومع ذلك لم يكتشفوا أنه كان مريضاً بالكبد حتى وصل لمرحلة التليف الذي أصابه بالاستسقاء ، واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر ، ثم أصابه الله بمرض الزُهري نتيجة شذوذه وفُحشِهِ الشهير . وفي مرضِ موته ابتلاه الله بحشراتٍ صغيرة حمراء لا ترى بالعين ، سببت له الحكة والهرش حتى أمام زوارِهِ من السفراءِ والكبراءِ حتى ظهرت على وجهه . ويُكتشفُ أن السبب وراء ذلك نوع من النملِ الأحمر الذي لا يوجد إلا في الصين !! فسبحان الله من الصين إلى تركيا ليُذل اللهُ عز وجل به هذا المجرم

الهالك (وما يعلمُ جنود ربك إلا هو) ويظلُ على عذابه حتى هلكَ ورحل إلى مزبلة التاريخ في 1358هـ.

ويدور جدال حول الصلاةِ عليه فيرى رئيس الوزراء عدمَ الصلاة عليه ويُصمم رئيس الجيش على ذلك فيصلي عليه شرف الدين أفندي مدير الأوقاف الذي كان أخبثَ وأسوءَ من أتاتورك نفسه (وإذا كان الغرابُ دليلَ قومٍ .. فلا فلحوا ولا فلح الغرابُ) .

أغرب شئ عن هذا الهالك أنه قد أوصى ورشح سفير بريطانيا في تركيا ليخلفه في رئاسة تركيا ، ليثبت ولائه لأسياده الإنجليز حتى بعد موته ، وليؤكدَ على حقيقته بأنَّه عميلٌ يهوديٌ خائنٌ جاءَ لتدميرِ الأُمةِ الإسلاميةِ وليكونَ قدوةً لكلِ علمانيٍ عربيٍ بعده . فاللهم لاترحمْ فيه مغرزَ إبره . آمين آمين .

كيف انحرف العلمانيون والليبراليون إلى الدولةِ المدنية ؟ وماهي حقيقةُ الصراع ؟

بدايةُ الانحرافِ والضلال :

*كانت البداية هي عزل الدين عن النظامِ العام للمجتمعِ (العلمانية) ، كنتيجةِ تعسفِ الكنيسة واصطدامِها مع رجالِ الدولة والعلماء في الماضي .

* الاحتياجُ إلى سُلطةٍ عُليا لتحكُمَ الحياةَ ، أدتْ بهم إلى اعتبارِ العقلِ هو السُلْطَة العُليا للحُكم على الأشياء بدلاً من الدِّين .

وهذا من أخبثِ اِنحرافاتِ العقل البشري لأنَّ جميع العُقلاء يتفقون في البديهيات (مثل : الكُلُ أكبرُ من الجزء) والمستحيلات (مثل : وجودُ الولدِ قبلَ أبيه) ، ولكنهم يختلفون في الجائزات العقلية (مثل شُربِ الخَمْر) : فقد يقولُ قائلٍ بالمنعِ مُطلقاً ، ويقولُ ثانٍ بالمنع إذا أَسْكَرَت ، ويقولُ ثالثٍ بالسماح مُطلقاً لأنَّها مِنْ الحُرِّيات ولأنَّها تُسبِّب رواجاً اقتصادياً ، فلابدَ من الاختلافِ بين عقلي وعقلك وعقول الآخرين ، فكيف يكونُ العقلُ حَكَماً ؟ فلابد من حَكَمٍ أَعلى من تلك العقولِ ، وهو الحقُّ جلَّ وعَلا ، وهذا مازاغوا عنه فأزاغَ الله قلوبَهم .

*الاحتكامُ إلى العقلِ ـ بمعزلٍ عن الدِّين ـ أدَّى بهم إلى ابتكار بديل للسُلطة التشريعية الدينية ، وهي الديمقراطية (رأيُ أغلبِ الشعبِ أو نوابه) .
*الاحتكام إلى الديمقراطية أدى إلى إقرار الليبرالية والمواطنة .

حقيقةُ الصراعِ :

* يقوم صراعٌ شديدٌ ومريرٌ على الهُوِيّة في مصرِ بين المسلمين والعَلْمانيين :
ـ فمِصرُ هُويَّتُها إسلاميةٌ منذ الفتح الإسلامي على يدِ الصحابي عَمرو بن العاص في عهد الخليفة عُمر بن الخطاب رضي الله عنهما . المسلمون يُريدونها دولةً إسلامية ، تعلو فيها كلمةُ التوحيدِ ويُحتَكم فيها لشريعةِ ربِّ العالمين، حيثُ العدلِ والرحمةِ واستردادِ الحقوقِ المغصوبةِ ، وتركِ حالةِ التأخرِ والتخلفِ والفسادِ والظُلمِ، التي تعيشُها الشعوبُ المسلِمةُ منذ أن نُحِّيت الشريعةُ الإسلاميةُ ، وتَوَلى أمرُ الناسِ من لا يخشى رباً ولا يؤمنُ بحسابٍ ولا عِقابٍ .
ـ العَلْمانيون يريدونها دولةً مَدَنيَّةً لادينية أي يكونُ الدِّينُ بعيداً عن النظامِ العامِ للدولةِ في جميع المجالات ، ولهذا يرفضون تطبيق الشريعة الإسلامية نهائياً ، ويمنعون وجودَها في الحياةِ العامةِ بشتَّى الطرق . وللأسفِ قد استطاعوا أن يفعلوا ذلك حتى الآن بأسلوبٍ ماكرٍ خبيثٍ .
* وهذا الصراع يدورُ حول مسألة (مَنْ المستَّحِق للسِيادة التشريعية : الله تعالى أم البَشَر ؟) وهو خِلافٌ عقائدي بين الإيمانِ والكُفر . تلك هي الحقيقةُ التي يحاولون طَمسَ معالمها على الدوامِ ، وتمييعَ جوهرها تحت مُسمَّياتٍ شتى مثلُ الاختلاف السياسي أو الصِّراع على السُلْطَة ، حتى يتسنى لهم الوصولُ إلى أهدافِهم الدنيئةِ دونَ إثارةِ الجماهيرِ المسلمة ضدَّهم . والله غالبٌ على أمرِهِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لايعلمون.

بعضُ مواقفِ التيار الإسلامي من الدولة المَدَنيَّة الديمُقراطية

بعضُ التيار الإسلامي في مصر قدموا تنازلات عن ثوابتِ العقيدةِ الإسلامية مثل : السيادةُ للشعبِ وحده ـ إقامةُ الدولة المِدَنيَّة الديمقراطية ـ الموافقةُ على مباديء الشريعة الإسلامية دون أحكامِها

كمرجعيةٍ تشريعية ـ الموافقةُ على جعلِ مباديء الشريعة الإسلامية في المرتبةِ الثالثةِ بعد العُرفِ كمرجعيةٍ قضائية ـ الموافقةُ على منعِ إقامة الأحزابِ على أساسِ الدين ...الخ . وإليكم بعض النماذج :

(1) راشد الغنوشي زعيمُ حزب النهضة التونسي : في فيديو مُسجَّل في مَعْرِض ردِّه على سؤال (حدِّثنا عن التجربة الديمقراطية في تونس ؟) قال: نحن رضينا بأنْ يكونَ الحَكَمُ ـ بيننا وبين خصومِنا الكُفار ـ الصناديق ... نحن نعرضُ خيراً هو الإسلام ، وهم يعرضون كُفرهم . فإذا الشَعْب اختارنا حَكَمْنا بالإسلام وسمحنا للكُفرِ بأنْ تكون له أحزابُه وأنديتُه وصحُفُه بكاملِ الحريةِ . وإذا الشَعْبُ اختارهم رضينا بحُكم الكُفر ، على أن يسمحَ لنا هذا الكُفر بأن تكونَ لنا صُحُفُنا ودَعوتُنا أهـ.

(2) قال د / مرسي (رئيس الجمهورية المعزول) في فيديوهات مُسجَّلة :

* نصارى مصر لايقولون أنَّ الله ثالث ثلاثة ـ لاخلافَ بين العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية، كلٌ يعتقد بما يشاء، الخِلافُ خِلافٌ ديناميكي، خِلاف آليات ووسائل ـ قرضُ صندوق النقد الدولي قرض حجمه صغير جداً 4.8 مليار دولار (يقصد التغاضي عن الفوائدِ الربوية) .

* ورداً على سؤال : أترضى برئيسِ جمهوريةٍ مسيحيٍ ؟ قال : أنا لا أمنعُ الشَعْب المصري ولا أقفُ ضده في أن يختارَ ما يشاء ، المرجعيةُ في هذا الأمرِ للشعب المصري بالاختيار. أهـ.

* ورداً على سؤال: هل ستُطبِّقون الشريعة الإسلامية إذا مافُزتُم ؟ قال الشريعة الإسلامية موجودة في الدستور المصري من قبل (already) ، مش أنا اللي حَطَبقها ... ثم قالت السائلة : نقصُد الأحكام ، اللي هي قطع يد السارق ؟ أجاب : لا دي مش الشريعة ، دي أحكام فقه !!

(3) قال صفوت حجازي : إنَّ مَن يتكلمْ عن المادة الثانية من الدستور الآن فهو مُثيرٌ للفتنة سواء كان مُسلماً أم مَسيحياً (من حوارٍ على قناة المحور قبل استفتاء 19 مارس) .

(4) قال مُحَمَّد سعد الكتاتني: نحن نقولُ فيما يخص موضوع تطبيق الحدود ، إنَّنا مع كلِّ ما هو موجودٌ في الدستورِ المصري ومُلتزمون به ، ونحنُ مع مباديء الشريعة الإسلامية المتوافقة مع الدستورِ

المصري ، ونحن لا ندعو إلى تغيير الدستور الحالي ، لأنَّ هناك فرقٌ بين مباديء الشريعة الإسلامية وبين الفِقْه (من حوار المصري اليوم 25 /2 /2011). أهـ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد : 7) ، فإنَّ الجزاءَ من جنسِ العمل .

ـ لقد كان المفروضُ أنَّ التيار الإسلامي يُدافعُ عن دينِ اللهِ تعالى ، ولكنهم انبطحوا أمام الليبراليين والعَلْمانيين الذين رَموا لهم الفُتات : فاكتفوا بمباديء الشريعةِ دون أَحكامِها ، ووافقوا على مَرجعيةِ الشَعْبِ دون مَرجعيةِ الواحدِ القهار ، فأخرجوا لنا الياسق العصري ، وهو الدستورُ المِصريُ الجديد .

ـ السؤالُ الأولُ : وهل رضى عنهم الطُغاةُ بعد كل هذه التنازلات في ثوابتِ الدِّين ؟

كلاً .. إنهم انقلبوا على حُكمهم ، ثم اعتقلوهم وقتلوهم في الشوارعِ والبيوتِ ، وحَكموا عليهم بأحكامٍ قاسيةٍ ظالمةٍ بين السجن والإعدام !!

ـ السؤالُ الثاني : وهل اعتبروا ، فرجعوا إلى الحقِّ بعد ذلك ؟

كلاً .. إنَّهم التزموا بالمظاهراتِ السِلْمِية وطالبوا بعودة د / مُرسي حتى يُثبتوا للغَرْب الصَلِيبِي أنَّهم سيموتون حتى آخرِ رجلٍ من أجلِ الديمُقراطية !!!

ـ والسؤال المحيِّر : لماذا فعلوا ذلك ، مع أنَّ الإسلام يُجيزُ لهم دفع الصائل (المعتدي) ، ويُجيزُ لهم الأخذ على يدِ الظالم ، ويُجيزُ لهم النهي عن المنكر باليد واللسان ؟

والجوابُ الغيرُ مُعلَن (أنَّ السِلْمِية جُزءٌ من منهجِ الديمقراطيةِ الذي التزموا به أمام العالم) ونهوا الشبابَ عن حملِ السلاحِ والجهادِ في سبيلِ الله تعالى ، وأخذوا يُرهِبون الشعبَ من مصيرِ سوريا والعراق !! .... ويبدو أنَّنا نتجه لمصيرِ أراكان وميانمار والبوسنةِ والهرسك !!

والخلاصة : إنَّهم خذلوا دين الله تعالى فخذَلَهم . فاعتبروا ياأولي الأبصار قبلَ فواتِ الأوان .

الانقلابُ العسكريُ في مصر

لم يكن ماذكرتُه عن مصطفى أتاتورك هو حدثٌ تاريخيٌ مضى ، بل هو أسلوبٌ ومنهجٌ

لكلِّ أعداءِ الإسلام ، وهاهو نفس المشهد يتكرر في مصر ، على يدِ المجرمِ المرتدِّ الفاجر : السيسي أتاتورك مصر . وحديثي معكُم ينقسم إلى ثلاثة أجزاء : جرائم السيسي أتاتورك مصر ـ بيانُ علماءِ المسلمين بشأن الانقلاب ـ العلاج الناجع للمرتدِّ الفاجر .

الجزء الأول : جرائمُ السيسي أتاتورك مصر

اعتمدتُ ـ فضلاً عن شهادتي الشخصية ـ على ثلاثةِ تقاريرٍ من جهاتٍ مختلفةٍ ، وكلُّها مُتاحٌ على الشبكة العنكبوتية :

أولاً : تقرير منظمة هيومان رايتس مونيتور ، وهو بعنوان : (مجازرُ مصر ، جريمة ضد الإنسانية) .

ثانياً : كتابُ السجلِ الأسود ، أصدره المركز المصري للإعلام في ديسمبر 2015 ، وهو يُوثِّق جرائمَ انقلاب مصر بالأرقام .

ثالثاً : الملفُ الأسود لجرائم السيسي ، الصادر عن موقع على الفيس بوك باسم (رؤية للتغيير ـ مصر) .

مُجردُ مقارنة : خلال 17 سنة من حكم ديكتاتور تشيلي السابق (بينوشيه) قُتل 3 آلاف وسُجِن 40 ألفا ، إلا أنه في سنتين ونصف من حكم (السيسي) قُتِل 7000 وسُجِن 50 ألفا . ومازالت الجرائم مستمرة حتى الآن ، ونحن في مايو 2016 م .

وهذا مُلخص لجرائم أتاتورك مصر :

قبل الانقلاب :

(1) **التخطيط للانقلاب العسكري** . قام السيسي وعدد من قيادات المجلس العسكري بالتخطيط مع المعارضة للانقلاب العسكري على الرئيس المصري ، وكانت رسالتهم أنَّ الجيش سيتدخل وسيعزل الرئيس بشكلٍ قسري ، إذا استطاعت المعارضةُ حشدَ عدد كافٍ من المتظاهرين في الشوارعِ . وكان المجرم على اتصالٍ دائمٍ مع السلطاتِ الأمريكية ليطلعَهم على كلِّ ما يحدثُ في مصر .

(2) **إنشاء حركة تمرد** . وهي أُتخذت ستاراً للانقلابِ العسكري كانت صنيعةً أمنيةً ، حيث لعبت عناصرُ مخابراتية دورًا رئيسا في تأسيسِ الحركةِ ودعمِها منذ ظهرتْ على الساحة .

بعد الانقلاب العسكري

الجريمةُ الأولى : في حق الإسلام .

(**1**) **الثورةُ على الدينِ الإسلامي** : وتم ازدراءُ الدينِ عمداً والهجومُ عليه ، وزعمَ أنَّه يحضُّ على الإرهاب ، وتم الطعنُ في القرآن والكتب الدينية ، ومنها صحيحا البخاري ومُسلم ، وتمَّ التشكيكُ في فرائضِ الإسلامِ وأركانِه ، وتبريرُ الإلحادِ وإبرازُ المتدين باعتبارِه يمثلُ التطرفَ الديني ، وبروزُ ظاهرةِ الهجومِ والتجرؤ الإعلامي على الإسلام ، وهدمُ التراث وسبُّ الأئمة الأربعة علناً ، وإغلاق آلاف الزوايا التي تقلُ مساحتَها عن 80 مترا ، واستبعادُ الألوفِ من الأئمةِ والخطباء.

(**2**) **السيطرةُ على الأزهرِ والأوقافِ والإفتاء**: وهؤلاء جندوا إمكاناتهم لخدمةِ توجهاتِ السيسي، وأنه تم منح الضبطية القضائية لمفتشي الأوقافِ لأولِ مرة ، وإلغاءِ نصوص دينية وسيَّرِ علماء الإسلام والفاتحين والمجددين من المناهج الدراسية ، وصارت الأوقافُ تلعب دورَ المخبر الأمني في المساجدِ وتحاصرُ الشيوخ .

(**3**) **إشاعةُ الفاحشة** : ترويج فتاوى تُبيح ممارسةَ الفاحشةِ بين غير المتزوجين ، ودعوات موتورة لخلعِ الحجاب ونشر التبرج ، وإلغاء الرقابة على الأفلامِ وتنامي المشاهد الجنسية والإباحية ، والسماحُ بعرضِ برامج مسابقات للرقص الشرقي ، والمطالبةُ بترخيصِ بيوتِ الدعارةِ والسماحُ لها قانونا ، ودعاوى لتقنينِ تداولِ مخدر الحشيش .

(**4**) **تمددُ وتوغلُ واضحٌ لدورِ الكنيسةِ في الشأنِ السياسي** السيسي خصص 30 فداناً لبناء ملحقٍ للكنيسةِ بمنطقةِ التجمع الخامس .

الجريمةُ الثانية : في حق الأفراد

وهي ارتكابُ المذابح الدموية والجرائم البشعة بحق رافضي الحكمِ العسكري أو الانقلاب. وقد منح السيسي الجيشَ والشرطةَ الضوء الأخضر لقتل المتظاهرين حيث أكَّدَ أنَّ الضابط الذي يقتل متظاهراً لن يُحاكم . وأنقلُ لكم أسماءَ أهمِ المذابح :

(1) مذبحة استاد بورسعيد : خططت المخابراتُ لهذه المجزرة انتقاماً من الأُلتراس لرفضِهم للحُكمِ العسكري . وهذه كانت في فترةِ توليه إدارةِ المخابراتِ الحربية وعضوية المجلس العسكري .

(2) مذبحةُ دارِ الحرسِ الجمهوري (مذبحةُ الساجدين) .

(3) مذبحةُ القائدِ إبراهيم .

(4) مذبحةُ النُصبِ التذكاري (مذبحة التفويض) .

(5) مجزرةُ فض اعتصامي رابعة والنهضة .

(6) مجزرةُ الفتح .

(7) مجزرةُ أبو زعبل (داخل سيارة الترحيلات) .

(8) مجزرةُ السادسِ من أكتوبر 2013 .

(9) مجازرُ 25 يناير 2014 (مذبحةُ المطريةِ / مذبحةُ الألفِ مسكن) .

فاللهمْ أرنا فيه عجائبَ قدرتِك .

وهاكم شيئاً من التفصيلاتِ لما أجملناه :

المظاهرات : قمعَ التجمعاتَ والتظاهراتَ دونَ رحمة ، ووجودُ إصاباتٌ بالغة ، بعضُها انتهى بعجزٍ كُلي ، وهناك أحكامٌ قضائيةٌ بسجن الآلاف لمجردِ التظاهرِ .

فضُ الاعتصامات :

قامت المدرعاتُ والجرافاتُ بدهسِ الخيام بمنْ فيها ، وتم إلقاءُ القنابلِ الحارقة على الخيام لتشتعل بمنْ فيها ، وتخلَّفَ عن ذلك مئاتُ الجثثِ المحترقةِ وسقطَ مئاتُ القتلى والجرحى / حرقُ المستشفى الميداني والمركز الإعلامي ومسجدِ رابعة العدوية بالكاملِ بما فيهِم من الشهداءِ والجرحى / نقلُ جثث

الشهداءِ بالجرافات / حرقُ المعتصمين أحياء / القناصةُ تصطادُ المعتصمين من أعلي البيوتِ والفنادق .

الأحياء والقرى : حصارُ العديد منها واقتحامها بالقوات العسكرية .

سيناء: تدميرُ المنازلِ والمزارعِ وسرقةُ مافيها / تدميرُ المراكزِ الصحية بسيناء بحجةِ معالجة الإرهابيين / جعل مساجد سيناء تحت الحراسة الأمنية / القاء الجثث في الآبار المهجورة / قتلُ خارج إطارِ القانون / الاعتقالُ التعسفي وتحت بندِ الاشتباه / حرقُ عششِ البدو / تدمير وحرق سيارات ودراجات بخارية للمواطنين / وهدمُ المنازل

في رفح المصرية وتهجيرُ الأسر .

الرجالُ : التصفية الجسدية / التعذيبُ البشع المؤدي إلى الوفاةِ في كثيرٍ من الأحيان (صدمات كهربائية في أماكن حساسة بالجسد ، والتعرض للضربِ والتعليقِ من الأطرافِ وتقييدِ الأيدي من الخلفِ) / الخطفُ والإخفاءُ القسري / احتجازُ المعتقلين في منشآت غير آدمية بالمرةِ ، وتتحمل فوق طاقتها الاستيعابية ، مما يتسببُ في إصابة المحتجزين بأمراضٍ عديدةٍ نتيجة سوء التهوية والنظافة ، حتى تحولت السجونُ وأماكنُ الاعتقال إلى مراكز لتصفية الإنسان جسدياً ومعنوياً / حالات وفاة داخل أماكن الاحتجاز : سواءً داخل السجون وأقسام الشرطة ، وداخل المحاكم والنيابات ، وبالسجون العسكرية ، وداخل دور الرعاية / القتلُ نتيجة تعمدِ الإهمالِ الطبي / الإحالة إلى مفتي الجمهورية : في العديد من القضايا ، وصدورُ أحكامٍ بالإعدام ، وتم تنفيذُ بعضِها.

النساء :

(1) الاعتداء على النساءِ خلال المظاهرات وفي أقسام الشرطة وفي داخلِ جامعة الأزهر وبالذات الطالبات والمنتقبات ، وداخلِ المعتقلات / واحتجازٌ لسيدات وفتيات / واختفاء بعضِ النساءِ قسرياً / وإحالةُ فتياتٍ قاصراتٍ إلى محاكمٍ عسكرية / سحلُ الفتيات بعد اختطافها من المظاهرات / وصدورُ أحكام بالإعدامِ لعددٍ من النساءِ في جرائمٍ مُلفقة .

(2) كشوفُ العذرية : وهي إجراءُ كشف العذرية للفتيات المحتجزات والمعتقلات بمعرفة القواتِ المسلحة ، تحت دعوى أنَّ تلك الفحوص تتم من أجلِ حماية الجيش من مزاعم الاغتصاب . وهذا في فترةِ توليهِ إدارةِ المخابرات الحربية وعضوية المجلس العسكري .

(3) خدش الحياء وهتك الأعراض : جعل الشباب يخلع ملابسه أمامَ البنات / استعمالُ السبِ والإهانة والشتائم القذرة / والتهديدُ بالاغتصاب / والتفتيش فى كل أجزاء الجسم ، وخلع الملابس كاملة أثناء التفتيش / التحرشُ الجنسي بعدةِ طالباتٍ من جامعة الأزهر بأسيوط داخل عربة الترحيلات .

(4) الاغتصاب : اغتصاب ضابط لطالبةٍ بالأزهر داخل مدرعة / اغتصاب فتاتين 14 مرة في يومٍ واحدٍ داخل معسكر أمن مركزي / اغتصاب أربع طالبات في قسم شرطة بشمال القاهرة / اغتصاب في عربة الترحيلات / اغتصاب داخل أماكن الاحتجاز .

الأطفال : اعتقال / الوضع في أماكن احتجاز/ الإخفاءُ القسري / تعذيب وقتل / ممارسة عنف جنسي ضدهم .

الطلاب والطالبات وأساتذة الجامعات : اقتحام الجامعات لفض التظاهرات / الاعتقال والإخفاء القسري / الفصل من الجامعات والمعاهد والمدن الجامعية / الإحالةُ إلى القضاء العسكري وصدورُ أحكامٍ عسكريةٍ ضدهم / القتلُ داخل وخارج الجامعة وفي السجون / فصلُ الأساتذة أو احالتُهم للتحقيق .

الصحفيون : اعتداء على الصحفيين والإعلاميين أثناء عملهم / الحبسُ والفصلُ بصورة تعسفية ومنع إعلاميين من الظهور على الشاشات / الحكمُ بالسجن المؤبد ضد بعض الصحفيين / القتلُ المباشر .

الجريمة الثالثة : في حق الشعب المصري .

(1) **نهب ثروات مصر** . تتحدثُ التقاريرُ عن أملاكه وأملاك أسرته وسائر جنرالات العسكر وحاشيته . وهذه من أخفِّ الجرائم ، ولانريدُ الخوضَ في تفاصيلِها ، لابارك الله له فيها ، وجعلها عليه حسرةً وندامةً في الدنيا والآخرة .

(2) **الاقتصاد** : التضخم وصل إلى أعلى مستوياته (13%) وفقا للبياناتِ الرسمية / 23.3 مليار دولار عجز في الميزانِ التجاري / 2.5 تريليون جنيه ديون داخلية وخارجية .

(3) **القطاع الصحي** : زيادة في أسعار الدواء بنسبة 300% / وتم تخفيض ميزانية الصحة بنسبة 3% / نواقصُ الأدوية في السوقِ المصري وصلتْ إلى 830 نوعاً ، وكثيرٌ من نواقص الدواء اختفى تماما من السوق بكل بدائلِه / وبنوك الدم لا تغطي سوى ثلث الاحتياجات / مصادرةُ المستشفياتِ الأهلية تسببَ في حرمانِ 4 ملايين مواطن من العلاج .

(4) **تدميرُ العملِ الأهلي** : الطاغيةُ تحفَّظَ على أموالِ الجمعيات الأهلية وحلَّ كثيراً منها مما يخدمُ البسطاء/ وتحفظ بغير وجه حق على أموال المعارضين / وتحفَّظ على كثيرٍ من الشركاتِ والمدارس والمستشفيات والمراكزِ الطبيةِ والسياراتِ والأراضي الزراعية .

الجريمة الرابعة : التعاون مع الكيان الصهيوني قبلَ الانقلابِ وبعدَه .

فاللهم أرنا فيه آيةً من آياتك .

الجزء الثاني : بيانُ منْ علماء الأُمة ، بشأن جرائم الانقلاب في مصر ـ 27 مايو 2015 م

(باختصارٍ وتصرف) وهو متاحٌ على الانترنت ، وهذا لتعلموا حقيقةَ الموقف :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولِ الله ، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد :

نظراً لما يحدثُ في مصر الكنانة ـ منذ قرابة عامين ـ من سفكٍ للدماء المحرمة، وهتكٍ للأعراض المصونة ، وإزهاقٍ للأرواح البريئة ، ونهبِ الأموال ، وتكسيرِ الممتلكات الخاصةِ ، وتدميرِ البلاد ، وتهجيرِ الآمنين ، ومعاداةٍ فجة للإسلام والمسلمين ، بمحاربةٍ لمنهجه ، وقتلٍ لعلمائه ، وتطاولٍ على قيمِه وثوابتِه ومقدساتِه ، وموالاةٍ لأعدائِه ، ومعاداةٍ لأوليائه ؛ فإننا ـ صدعًا بالحق ، ودفعًا للباطل ، وبيانًا للناس، كما أمرنا الله تعالى ـ نُعلن للأُمة الموقف الشرعي من هذا النظام ، والواجبُ نحوه ، والمتمثل في النقاط الآتية :

- إن المنظومةَ الحاكمة في مصر منظومةٌ مُجرمةٌ قاتلة ، انقلبت على إرادةِ الأُمة واختيارها... هذه المنظومة قتلتْ الآلاف بغير حق ، واعتقلت عشراتَ الآلاف بلا مسوّغ ، وحكمت بالإعدام والسجن على الآلافِ من خيرةِ رجال مصر ونسائِها في قضايا مُلفقة ، وطاردت الآلافَ داخل مصر وخارجها ، وشردت آلافَ الأسر، وظاهرتْ أعداء الأُمة عليها ، وفصلت تعسفيًّا مئاتَ القضاة وأساتذة الجامعات والمدرسين والأئمة والخطباء .
- يجب شرعًا على الأمة : حُكامًا وشعوبًا ، مقاومةَ هذه المنظومة ، والعملُ على كسرِها والإجهازِ عليها بالوسائلِ المشروعة كافةً ؛ حفاظًا على ثوابتِ الأمةِ ، وحرصًا على المقاصدِ العليا للإسلام .
- إنَّ موالاةَ الصهاينةِ المعتدين ودعمَهم وحمايتَهم ، ومعاداةَ المقاومةِ الفلسطينية ، والتآمر عليها، وحصارَها من خلالِ تدميرِ سيناء وتهجيرِ أهلِها ، يُعدُّ خيانةً للدين والوطن ، وتفريطاً في مسرى رسول الله ﷺ ، لا تصدرُ إلا عنْ عدوٍ للهِ ورسولِه والمؤمنين ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة 51) .
- إنَّ الحكام والقضاة والضباط والجنود والمفتين والإعلاميين والسياسيين ، وكُلَّ من يَثْبُتُ يقينًا اشتراكُهم ، ولو بالتحريض ، في انتهاكِ الأعراضِ وسفكِ الدماءِ البريئة وإزهاقِ الأرواحِ بغيرِ حقٍ .. حُكمهم في الشرع أنَّهم قتَلةٌ ، تسري عليهم أحكامُ القاتلِ ، ويجبُ القصاصُ منهم بضوابطِه الشرعية ، والله تعالى يقول : ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾(المائدة 32) .
- إنَّ معاونةَ هذه المنظومة الإجرامية ومساعدتَها على الاستمرارِ بأيةِ صورةٍ من الصور هو من المحرماتِ شرعًا والمجرَّماتِ قانونًا ، ومشاركةٌ صريحةٌ في الجرائمِ التي ترتكبها ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود 113) .
- إنَّ حضورَ شيخِ الأزهرِ مشهدُ الانقلابِ ، وصمتَه عن جرائمِهم ، جريمةٌ شرعيةٌ تُسقط شرعيتَه ، وتُهدِر مكانتَه ، وتجعلُه شريكاً للمجرمين في كلِّ ما اقترفوه ، وتُشوه تاريخَ الأزهرِ

المجيدِ ، وتُفسدُ حاضرَه ، وتُدمرُ مستقبلَه ، ونُحمّلُ مفتي مصر المسئوليةَ الشرعيةَ والجنائيةَ عن الأرواحِ البريئةِ التي وافق على إعدامِها ، ونحذرُه من مغبةِ التمادي في التوقيعِ بالموافقةِ على المزيدِ من أحكامِ القتلِ الجائرةِ الطاغيةِ ، وما قد ينتج عن هذه الأحكامِ من مفاسدٍ عظيمةٍ على المستوياتِ جميعاً ، وقد لا يخفى عليه أنَّه ليس في القتلِ ولا في الزنا إكراهٌ ، فلا حُجةَ له في الدنيا ولا في الآخرة ، إنْ صدَّقَ على قتلِ الأبرياء .

- إنَّ الدفاعَ بأيةِ وسيلةٍ مشروعةٍ عن النفسِ والعرضِ والمالِ حقٌ مشروعٌ ، بل واجبٌ شرعي ، لا يملكُ أحدٌ أنْ يمنعَه أو يمنحَه ، فللمُعتدَى عليه صدُّ المعتدِي بذاتِه دونَ غيرِه ، وبالقدرِ الواقعِ عليه دونَ تعدٍّ أو تفريط ، قال تعالى : ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ. إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى: 41 ـ 42) .
- يستهجنُ العلماءُ الموقعون على هذا البيان موقفَ الدولِ الداعمةِ للانقلابِ ، والموقفَ الدُولي المدعي احترامَ حقوقِ الإنسانِ وخياراتِ الشعوبِ ، ويناقضُ ذلك كلَّه بدعمِه للأنظمةِ الانقلابيةِ وتعاملِه معها ، ويُحملونهم المسئوليةَ القانونيةَ عن الدماءِ التي سالت ، والأرواحُ التي أُزهقت ، ظلماً وعدواناً. أهـ.

فاللهمَّ اجعلْهُ نكالَ الآخرةِ والأولى .

الجزء الثالث : العلاجُ الناجعُ للمرتدِ الفاجر .

أولاً : اثباتُ حكمِ الكفر .

وهذا قد أثبتُه تفصيلاً في بحث (وجاهدوا في الله حق جهاده) ، وفنَّدتُ شبهاتَ المرجئة ، هداهم الله تعالى . وأما فجورُه ، فواضحٌ ولايحتاجُ إلى دليلٍ وفي هذا الموضوع ، نحنُ نواجه مُشكلتين : الطاغوت والمرجئة .

المشكلة الأولى للمرجئة أنهم أخرجوا العمل من مُسمَّى الإيمان ، وبالتالي أخرجوه من مُسمَّى الكفر، فلا يكفر المسلم قط بأي عملٍ مهما فعل . وحصروا الكفر باللسان فقط ، في صورة الاستحلال فقط (تكذيبُ شيءٍ من القرآن) . وعندما يقول الحاكم :

الحكم بغير ما أنزل الله حلال ، حينئذٍ فقط يكفر .

المشكلة الثانية للمرجئة ، أنهم بِناءً على مذهبِهم الفاسد ، لم يُكفروا الحكام المرتدين ، بل تبرأوا ممن يُكَفِّر هؤلاء الحُكام ، وممَّن يرفعُ راية جهادِ هؤلاء الطواغيت ، وشاركوا الطواغيت في رمي المجاهدين بتُهمةِ الانحرافِ والتّطرفِ وفي الدعوة إلى نبذِ العنفِ والإرهابِ (يقصدون فريضةَ الجهاد في سبيل الله تعالى) .

ثانيا : التعاملُ الشرعي مع الحاكمِ الكافر .

(1) قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى (أَفَحُكم الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ) ، واصفاً حال التتار : فمن فعلَ ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى حُكمِ اللهِ ورسولِه فلا يُحكِّم سواه في قليلٍ ولا كثير. أهـ.

(2) وقال النووي رحمه الله : قال القاضي : فلو طرأَ عليه كُفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حُكم الولاية ، وسقطت طاعته ، ووجبَ على المسلمين القيامُ عليه وخلعه ونصب إمام عادل ، إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقعْ ذلك إلا لطائفةٍ وجب عليهم القيام بخلعِ الكافر، ولا يجبُ في المبتدع ، إلا إذا ظنوا القدرةَ عليه ، فإنْ تحققوا العجز لم يجبْ القيام ، وليهاجر المسلم عن أرضِه إلى غيرها ويفر بدينه[15].

(3) قال ابن حجر رحمه الله :

ونقل ابن التين عن الداودي قال : الذي عليه العلماء في أُمراء الجورِ أنَّه إن قُدِر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجبُ الصبر، وعن بعضِهم لا يجوزُ عقدُ الولاية لفاسقٍ ابتداءً ، فإن

[15](شرح النووي على صحيح مسلم ج 12 ص 229)

أحدثَ جوراً بعد أن كان عدلاً ، فاختلفوا في جواز الخروج عليه ، والصحيحُ المنع إلا أن يكفرَ فيجبُ الخروجُ عليه[16] .

(4) وقال أيضاً رحمه الله : وقد تقدمَ البحثُ في هذا الكلام على حديثِ عُبادة في الأمرِ بالسمع والطاعة إلا أن تروا كفراً بواحاً بما يغني عن إعادته ، وهو في كتابِ الفتن ، ومُلخصه أنَّه ينعزلُ بالكفر إجماعاً ، فيجبُ على كلِّ مسلم القيامُ في ذلك ، فمن قوي على ذلك فله الثواب ، ومن داهنَ فعليهِ الإثم ، ومن عجزَ وجبتْ عليه الهجرةُ من تلك الأرض.[17]

(5) وقال أيضاً في شرحه لحديث النبي ﷺ : من فارقَ الجماعة شبراً فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه : وقد أجمع الفقهاءُ على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأنَّ طاعتَه خيرٌ من الخروجِ عليه ، لِما في ذلك من حقنِ الدماءِ وتسكينِ الدُهماء . وحجتُهم هذا الخبر وغيرِه مما يُساعده ، ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطانِ الكُفر الصريح فلا تجوزُ طاعته في ذلك بل تجبُ مجاهدتُه لمنْ قدرَ عليها[18] .

هذا ما أردتُ بيانه، فإنْ كان فيه من خيرٍ فالفضلُ للهِ وحده، وإنْ كان فيه من زللٍ، فمني ومن الشيطان.

اللهمَّ لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا / اللهمَّ اجعلهُ خالصاً لوجهك الكريم / اللهم اجعلهُ صدقةً جارية وعلماً يُنتفع به . آمين آمين .

بيت المقدس

[16](فتح الباري ج13 ص 8)

[17](فتح الباري ج 13 ص 123) .

[18](فتح الباري ج 13 ص 7)